السيد عبد الرزاق الحسني

الصابئون

في حاضرهم وماضيهم

دراسة مستفيضة تستند الى مشاهدات شخصية وتتبعات دقيقة

الطبعة الثالثة

مصححة ومنقحة ومضاف اليها معلومات خلت منها الطبعتان الاولى والثانية

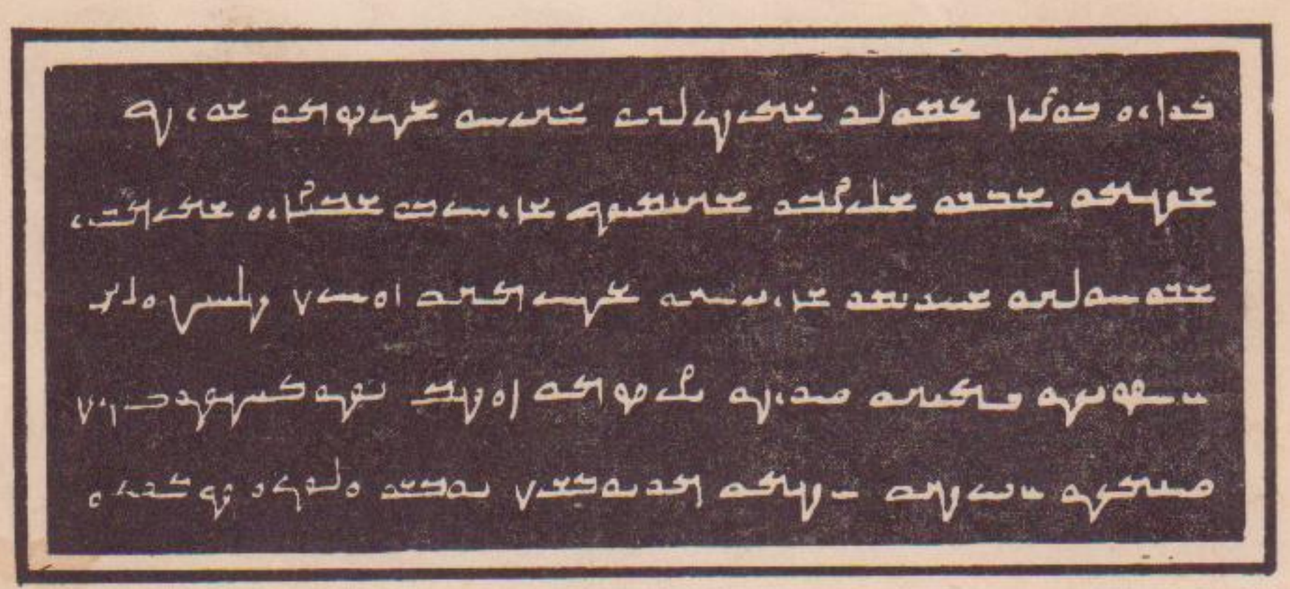

بعض اسطر من كتاب الـ «كنزه ربا» كتاب الصابئة المقدس

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

ثمن النسخة (٣٥٠) فلساً

مطبعة العرفان * صيدا ـ لبنان

١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م

الصابئون

في حاضرهم وماضيهم

الطبعة الثالثة

مصححة ومنقحة

تبحث هذه الرسالة في الصابئة قديماً وحديثاً ، وتتكلم عن معتقداتهم الروحية ، وفرقهم
الدينية ، وكتبهم المقدسة ، وعلى « يحيى بن زكريا » الذي ينتمون اليه ،
وتضم بين دفتيها ادق المعلومات واصدقها عن طقوسهم الدينية ،
وعاداتهم الاجتماعية ، واعيادهم القومية ، وعدد نفوسهم
ومساكنهم ، وصناعتهم ، والمحرّمات عندهم

بقلم

السيد عبد الرزاق الحسني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م

مطبعة العرفان * صيدا - لبنان

ثبت بأهم المراجع

اولا ـ الكتب المقدسة

١ ـ التوراة ٢ ـ الانجيل ٣ ـ القرآن ٤ ـ الكنزاربّا (وهو كتاب الصابئة الكبير)

ثانياً ـ المراجع العربية

٥ ـ ابن خلدون	المقدمة	(القاهرة ١٣٢٩هـ)
٦ ـ ابن العبري	تاريخ مختصر الدول	(بيروت ١٨٩٠)
٧ ـ ابن النديم	الفهرست	(لايبسك ١٨٧١)
٨ ـ ابن القفطي	تاريخ الحكماء	(لايبسك ١٣٢٠هـ)
٩ ـ ابن منظور	لسان العرب	(القاهرة ١٣٠٠هـ)
١٠ ـ أبو الفداء	تقويم البلدان	(باريس ١٨٤٠)
١١ ـ أبو الفداء	المختصر في اخبار البشر	(القاهرة ١٣٢٥هـ)
١٢ ـ الآمدي	كتاب ابكار الافكار	(مخطوط)
١٣ ـ الحسني (عبدالرزاق)	الصابئة قديماً وحديثاً	(القاهرة ١٩٣١)
١٤ ـ الحموي	معجم البلدان	(القاهرة ١٩٠٦)
١٥ ـ الدمشقي	نخبة الدهر في عجائب البر والبحر	(بطرسبورغ ١٨٦٥)
١٦ ـ الرازي (فخرالدين)	اعتقادات فرق المسلمين والمشركين	(القاهرة ١٣٥٦هـ)
١٧ ـ الزبيدي	تاج العروس	(القاهرة ١٣٠٦هـ)
١٨ ـ زويمر	مقالته في (مجلة المقتطف)	(القاهرة ١٨٩٩)
١٩ ـ الشهرستاني	الملل والنحل	(لندن ١٨٤٢)
٢٠ ـ الطبرسي	مجمع البيان في تفسير القرآن	(صيداء ١٣٣٣هـ)
٢١ ـ عبادة (عبد الحميد)	مندائي اوالصابئة الاقدمون	(بغداد ١٩٢٧)
٢٢ ـ عواد (كوركيس وبشير)	العراق في القرن السابع عشر	(بغداد ١٩٤٤)
٢٣ ـ الفيومي	المصباح المنير	(القاهرة ١٩١٢)
٢٤ ـ الكرملي (انستاس)	مقالته في مجلة «المشرق»	(بيروت ١٩٠١)
٢٥ ـ المسعودي	مروج الذهب	(باريس ١٨٦٣)
٢٦ ـ النجار (عبدالوهاب)	قصص الانبياء	(القاهرة ١٣٥٥هـ)
٢٧ ـ وجدي (محمد فريد)	دائرة معارف القرن العشرين	(القاهرة ١٣٤١هـ)
٢٨ ـ اليازجي	مجلة البيان	(القاهرة ١٨٩٧)

ثالثاً ـ المراجع الاجنبية

29 - E. S. Drower, The Mandaeans of iraq and iran-London 1937
30 - H- Pognon, Inscriptions Mandaïtes des coupes de Khoubeir Paris 1898
31 - J. B. Tavernier, les six Voyages - Paris 1713
32 - M. N. Siouffi, Études sur la Religion des Soubbas - Paris 1880

المقدمة

بقلم حضرة صاحب السعادة البحاثة الكبير والاستاذ الجليل

شيخ العروبة أحمد زكي باشا

البراعة في نظري نوعان : براعة الابتكار ، وبراعة الإتقان :

١ ــ فبراعة الابتكار أن يتناول الانسان غرضاً من أغراض العمران ، أو عرضاً من اعراض الحياة ، فيتولاه بالتفكير الطويل ، ويعالجه بتكرار النظر العميق، حتى اذا توافرت لديه الوسائل ، وتهيأت أمامه الأسباب ، أبرز للناس خلاصة بحثه الناضج ، فإذا هي حلية للأبصار ، وجوهرة للعقول ومتعة للناس .

هذه البراعة مقصورة على أفراد معدودين يبعثهم الله من حين إلى حين ، وفي جيل دون جيل ، وهم قليل بل أقل من القليل ، ولكن ثمرات أعمالهم تتنقل بالإنسانية كلها من حال إلى أسمى منها ، وترتقي بالحضارة إلى ما هو أرفع وأرفه . وهذه نعمة من نعم الله فيها الخير العام وفيها البركة الشاملة .

٢ ــ أما براعة الإتقان فانها مختلفة المظاهر ، متعددة الأشكال . وسأقف في هذه الكلمة أمام ناحية واحدة من نواحيها الجمة .

تلك هي ناحية التحقيق العلمي الصحيح .

فالبراعة كل البراعة أن يعالج الكاتب موضوعاً مطروقاً أو بحثاً معهوداً ، أوأن يلتمس أثراً مشهوداً او امراً معروفاً . فيدرسه درساً صحيحاً ، ويبحثه بحثاً دقيقاً ثم يفيض عليه شيئاً من سحر البيان ، ويضيف اليه قبساً من نور العرفان، مع تزيينه بطريف التمحيص ومبتكر التحقيق

البراعة كل البراعه أن يجيد بعد ذلك تدبيج أطرافه وتوشية حواشيه بما ينفخه من روح الحياة فيه ، مما نزل عليه من الإلهام بطريق الرحلة إلى المصادر الأولية ، أو توصل اليه عن طريق المكابدة في الاستقاء من المناهل الأصلية .

هذه هي البراعة التي امتاز بها أعلام العروبة على عهد ازدهارها في مكة والمدينـــة ، في صنعاء وزبيد، في البصرة والكوفة ، في بغداد والموصل ، في دمشق وحلب، في القدس وطبرية في الفسطاط والقاهرة ، في برقة وطرابلس ، في المهدية وقيروان ، في وهران وتلمسان ، في

فاس ومراكش ، في شنقيط و تُنبُكْتُ (١) ثم في قرطبة وغرناطة وغيرهمـــا من أمصار الفردوس الإسلامي المفقود ، وأخوه الذي هو على شفا جرف هار .

هذه هي البراعة التي أمحى أثرها (إلا نزراً يسيراً تحت الأطلال) فقد درست تلك الأعلام .

هذه هي البراعة التي خبا نورها (إلا جمراً ضئيلا بين الرماد) فقد انطفأ ذلك المصباح .

ننشدها هنا وهنا فلا نجد لها غير ثمالة زهيدة عندنا ، مزهود فيها عند غيرنا ،أما نفحاتها الحقة ، وأما مظاهرها النافعة ، فقد ودعت بلادنا من زمان بعيد ، ثم طاب لها القرار في ديار الفرنج ، لأنهم أكرموا مثواها ، ولا يزالون يبالغون في الحفاوة بها .

حقاً إنهم أخذوا عن أجدادنا في الاندلس والمغرب ، ومصر والشام،والعراق والجزيرة المقدسة ، وما الى وراء ذلك حتى مطلع الشمس . بيد أنهم واصلوا البحث والدرس حتى وصلوا إلى تسخير العناصر لخدمتهم ، والى ابتكار الصنائع واختراع البدائع التي يصح وصفها بأنها مما « لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

هم يتوافدون من كل فج عميق على أقطار العروبة من أقصاها الى اقصاها فيبحثون عما جهلنا من آثار أجدادنا الأولين .

هم ينقبون عن مفاخر أقوامنا في كل فن ومطلب ، فيعيدونها الى الحياة ونحن نيام نيام، ولا أقول غير ذلك .

على أننا نحمد الله قد بدأنا نأخذ عنهم ، ثم أنشأنا ننسج على منوالهم ، فدخلنـــا طور التجربة ، وسيتبعه طور الانتقال فنكون جديرين بالاجداد .

٣ً — بدأت بشائر هذه النهضة في مصر فجاوبتها الشامات ثم جاء الدور لبغداد،وهو آت بلا شك الى الجزيرة المقدسة .

وطالما تغنيت بما حدث في مصر والشام ، وطالما تمنيت أن أترنم بغيرهما من بقاع العروبة وإنني لسعيد بالتحدث في هذه الكلمة عن العراق .

٤ً — ففي بغداد نهضة مباركة ، وفي كل أنحاء العراق شعب طموح وثاب،وها هي آثار العمران تعود قليلا قليلا إلى مهد العمران . وها هي شبيبة الفرات تستقي من (النيل) ومن (السين) و (التامیز) ثم تعود الى الرافدين لنشر العلم ولإحياء الصناعة في (ما بين النهرين). والذي تناهى لي عن ثقات الاصدقاء الصادقين أن الحركة الاقتصادية والصناعية في ديار

---

(١) عاصمة الصحراء في افريقيا. وهي التي مسخ الجهلة المتفرنجون اسمها متابعة للافرنج في قولهم Tambouctou فقالوا «تمبكتو» والصواب ما قلت «تنبكت» (بضمة فسكون فضمتان بينهما سكون) فافهم واحفظ ، لان الافرنج رسموا اللفظ حسب النطق به، ولكن المتفرنجين مسخوه بالاخذ عنهم دون الرجوع الى أهل العلم أو أهل الدار

العباسيين ، بين الوطنيين ، وفي دائرة الوطنيين ، ولمصلحة الوطنيين، هي أوسع نطاقاً، وأغزر مادة ، وأكثر رواجاً مما هو حاصل في وادي النيل، وهذا شيء محمود نقابله بالاغتباط مع الارتياح.

ولقد رأيت سادتهم وقادتهم في الشتاء الماضي بأرض مصر وهم « مثل طلبتهم هنـــا » متشحون بملابس كلها من نسيج بلادهم وهم بها فخورون .

أما الصحافة ، وهي عنوان النهضه ، ومرآة الأمة ، ورسول الوطنية ، فإنني أرى فيها كل يوم بشارة جديدة تبعث الأمل ، وتقيمه على دعائم راسخة .

وأما الجو العلمي ، فقد كان الى عهد قريب في خمول وخمود ، ولكن السحائب السود بدأت تتبدّد عنه ، فانبثق مجال ضئيل النور . وعن قريب يتم له الإشراف على كل آفـــاق العراق ، فيعود لبغداد عصر بني العباس في ثوب عصري قشيب .

٥ً ــ من آثار تلك البراعة التي تحدّثت عنها في العراقين ، ومن مظاهر هذا النور الذي ترمّقته فوق الرافدين ، هذا الكتاب الصغير ، هذا الكتاب الذي توفر مؤلفه البارع على درس الصابئة ، او القوم الألى يسمون أنفسهم بالصابئة في بطائح البصرة وفي سهول الموصل . وقد أجاد فيه واستوفى شروط البراعة التي أشرت اليها في صدر هذه الكلمة .

وأنت إذا قرأته مثلي ، رأيت فيه دليل البراعة التي حدثتك عنها . وأنا أتنبأ لصاحبه بأن كتابه هذا سيتناوله المستشرقون بالترجمة الى الالمانية ، والى كثير من اللغات الاخرى ، وانه سيكون مصدراً من مصادر أبحاثهم ، ومرجعاً يرجعون اليه (١) ومنهلا يستقون منـــه وحسبه ذلك فخراً ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

عن دار العروبة
ربيع الثاني سنة ١٣٥٠هـ
أغسطس سنة ١٩٣١م

أحمد زكي باشا

---

(١) رفع المؤلف نسخة من كتابه هذا الى وزارة المعارف العراقية الجليلة للنظر في امكان الاستفادة منه في مؤسساتها الثقافية فقررت «مديرية العلاقات الثقافية» في الوزارة المشار اليها بتاريخ ٩ آب ١٩٥٥ شراء «٢٠٥» نسخ منه وتوزيعها على المكتبات التابعة لها ، ولما عرض هذا القرار على وزير المعارف السيد خليل كنـــه لتصديقه تلقى «المؤلف» الكتاب المرقم ٤١١٣٧ والمؤرخ ١٩٥٥/١١/١٩ الآتي نصه :

« السيد عبد الرزاق الحسني ــ ديوان مجلس الوزراء

« قرر مجلس المعارف رد طلبكم بشراء نسخ من كتابكم « الصابئون في حاضرهم وماضيهم » وذلك لعدم الافادة منه لدى مؤسساتنا الثقافية » اهـ

وكان مجلس المعارف قرر في الوقت نفسه شراء اعداد كبيرة من مؤلفات شتى مثل كتاب « حامي العرين : نوري السعيد » وكتاب « شخصيات عراقية » وكتاب « عقائل قريش » وكتاب « تحت رمـــاد السلام » وكتاب « الشهيد مجيد كنه » ... الخ فأقر الوزير كنه قرار الشراء دون هذا الكتاب .

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنا اغْفِر لَنا وَلإخوانِنا الَّذينَ سَبَقُونا بالإيمانِ وَلا تَجْعَلْ في قُلوبِنا غِلاًّ لِلَّذينَ آمَنوا . — صدق الله مولانا العظيم —

أما بعد

« الصابئون » قوم من أصحاب الديانات القديمة غلب عليهم الحياء والكتمان فكان ذلك مدعاة لاختلاف العلماء والمؤرخين في حقيقة أمرهم . ففريق منهم ردّهم إلى ديانة بابل وآشور وهي من أقدم الديانات الوثنية لان أساسها عبادة النجوم وفيها من الشعائر ما يتصل بديانة بابل القديمة . وفريق آخر قال : إنهم فرقة من المجوس والنصارى ولم يزد على ذلك، والحق انهم ليسوا من المسيحية في شيء ، لان المسيحي من آمن بألوهية السيد المسيح ، والصابئي لا يؤمن بذلك . أما « الزمخشري » فقد ذهب في تفسيره « الكشاف » إلى أنهم قوم عدلوا عن دين النصارى واليهود وعبدوا الملائكة وهكذا تباينت الآراء ، واختلفت الروايات ، دون أن يقام عليها دليل أو برهان .

وقد أتى على هذا السر عهود لم يهتك له فيها ستر ، ولم يستشف أحد ما وراءه ،والناس واقفون فيه عند حدّ التكهن والظن ، يتطلعون إلى مكنون أمرهم بلهفة شديدة ، ويحاولون استكشاف حقيقة ديانتهم برغبة ملحة ، فإن القوم يوشك أن ينقرضوا من سفر الوجود ، ولا يبقى لهم إلا الذكر التاريخي الخالد ، وهم يكتمون ديانتهم كل الكتمان،ويضنون بأسرارها حتى عن أهلها وأتباعها ، ونرجو ان لا يتهمنا القارىء بالغلو اذا قلنا ان الصابئي لا يكاد يعرف من اسرار دينه شيئاً ، ولا يتقن لغة اجداده او يحسن قراءتها او كتابتها ، ولا يمكّن من السؤال عن العلة فيما يؤديه من طقوس وفروض ، لان هذه الاسرار محفوظة في صدور المؤمنين وهم قلة قليلة لا ترى البوح بها لاحد خشية ان يفلت الامر من يدها إن انكشف امرها للخاص والعام .

ومما يزيد الامر إشكالا والبحث تعقيداً ، ان الصابئين منزوون عن غيرهم من الطوائف

كل الانزواء ، سواء أكان ذلك من ناحية شعائرهم الدينية التي يقيمونها ، امن ناحية اللغة التي يتخاطبون بها ، وهم الى ذلك لا يرون دخول احد من الناس في ملتهم ، ولا يتزوجون من غير قومهم ، ولا يساكنون احداً من غير نحلتهم ، ولا يؤاكلونه مطلقاً .

وكنا طبعنا رسالتنا « الصابئة قديماً وحديثاً » في القاهرة سنة ١٩٣١م ، اعقبناها بمقالة مطولة نشرناها في « الهلال ايار ١٩٣٢م » فتلقينا من ضجيج الصابئة وإنكارهم ماجرنا إلى مرافعات ومحاكمات طال امدها . ولكنها انتهت بفشل المدعين ، لعدم وجود مأخذ على ما كتبناونشرنا .

ومنذ ذلك الحين ونحن نتابع دراسة هذا الموضوع ، ونتصل برؤساء الصابئة وببعض شيوخهم البارزين ، ونحضر حفلات افراحهم واتراحهم ، ونشاهدطقوسهموآدابهموندقق في كتبهم المقدسة وفيما كتب عنهم في بعض اللغات الاجنبية الحية حتى انتهى بنا الامر الى هذه الدراسة المستفيضة شاكرين للاستاذ كوركيس عواد ما اسداه الينا من عون،وما مهده لنا من سبيل لإنجازها وآملين ان يتحفنا القراء بما يعنّ لهم من ملاحظات وآراء في هذا الصدد فنعمل به في طبعة الرسالة القادمة ، فإن المرء صغير بنفسه ، كبير بإخوانه ، وكم ترك الاولون للآخرين من مجال ، ومن الله نستمد الهدي والرشاد .

بغداد ـ الكرادة الشرقية سلخ ربيع الثاني ١٣٧٤هـ السيد عبد الرزاق الحسني

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله وبه ثقتي ورجائي

نفدت نسخ الطبعة الاولى من كتابي هذا « الصابئون في حاضرهم وماضيهم » بيسر لم اكن اتوقعه من قبل فوجب علي تهذيبه وتشذيبه لعرضه على انظار القراء الكرام بحلة قشيبة ومادة منقحة وتحقيق ادق من ذي قبل .

وللحقيقة اقول : إن موضوعاً غامضاً كموضوع الصابئة تباينت فيه آراء الكتاب والباحثين تبايناً كبيراً ، وتشعبت فيه تحقيقاتهم تشعباً واسعاً لمن الموضوعات التي لا يمكن طرقها دون ان يعرّض الكاتب نفسه الى النقد والتقريع ؛ اما النقد فمن جانب العلماء والمحققين الذين يريدون البحث سالماً من شوائب الشك والريبة ، وأما التقريع فمن جانب الصابئين الذين لا يرون إباحة اسرار ديانتهم للغير وإن كانوا انفسهم يجهلون معظم هذه الاسرار. ولا يستغربن القارىء إذا قلت ان رجال الديانة الصابئية انفسهم لا يلمون بأسرار الديانة إلا إلمامة عابرة لا تسمن ولا تغني من جوع .

فإذا جاء بحثنا ناقصاً ، او اذا كان ما توصلنا اليه في هذا الكتيب لا يرضي الذين يطلبون المزيد من الدقة والتحقيق فعذرنا بما عرضناه معروف وسهونا مغفور وما توفيقنا إلا بالله .

الكرادة الشرقية غرة جمادى الاولى ١٣٧٧هـ .

السيد عبد الرزاق الحسني

مقدمة الطبعة الثالثة

هذه هي الطبعة الثالثة من رسالتي « الصابئون في حاضرهم وماضيهم » ادخلت عليها تصويبات وتحقيقات خلت منها الطبعتان الاولى والثانية ، واظهرتها بهذا الثوب القشيب والاخراج الجميل فعسى ان تلاقي قبولا حسناً ومن الله التوفيق .

الكرادة الشرقية سلخ شعبان ١٣٨٢هـ .

السيد عبد الرزاق الحسني

الصابئة قديماً وحديثاً

نوطئة

نظرة واحدة إلى تطوّر الفكر البشري في مختلف عصوره، تدل الباحث على الاتجاهات الفكرية الغريبة، وإلى تعدد النظرات في فهم هذا الكون وتفهمه. ومهما حاول الإنسان أن يبتعد في تفكيره عن المعتقد، وأن يجعل النظر خالصاً من شائبة الإيمان، فإنه لا يستطيع أن يجد إلى ذلك سبيلا، فالبحث في المعتقدات إنما هو بحث في طوابع التفكير، ومناهج النظر البشري؛ إلا أن فائدة هذا البحث لا تقتصر على دراسة تاريخ المعتقدات والمذاهب حسب، إنما ترينا كيف شرع الإنسان الأول يفكر في نفسه وفي خالقه، وفي الرابطة التي تربط بينه وبين هذه القوة المدبرة، وتوقفنا من جهة ثانية على قيمة ما يظهر من النظريات في عصرنا الحاضر، وما نراه مستحدثاً وطريفاً في آراء البشر وفي معتقداته.

ومن الضروري جداً أن يعود الإنسان إلى تاريخ التفكير والمعتقد ليطلع من ورائه على غرائز البشر العامة، وعلى اتجاهاته كافة، وعلى تأثره بالظروف والأحوال، فوجود الانسان في مختلف مظاهره مرتبط تمام الارتباط ومستند بعضه الى بعض، وقد ترجع هذه التفكيرات والمعتقدات ـ عند التحليل والتمحيص ـ إلى أصل واحد، تشعبت منه وطوّرت الانسان وتطورت معه، ولكنها أصبحت بمرور الأزمان، مختلفة تمام الاختلاف، ومتباينة تباين سلائل الانسان الحاضر.

وغاية ما يأتي به الباحث في مواضيع غامضة كهذه، هو أن يدل المتتبع على أصلها الذي نشأت منه، ويلوح إلى العوامل والمؤثرات التي عملت على تفريعه.

الصابئة قديماً وحديثاً

نوطئة

نظرة واحدة إلى تطوّر الفكر البشري في مختلف عصوره، تدل الباحث على الاتجاهات الفكرية الغريبة، وإلى تعدد النظرات في فهم هذا الكون وتفهمه. ومهما حاول الإنسان أن يبتعد في تفكيره عن المعتقد، وأن يجعل النظر خالصاً من شائبة الإيمان، فإنه لا يستطيع أن يجد إلى ذلك سبيلا، فالبحث في المعتقدات إنما هو بحث في طوابع التفكير، ومناهج النظر البشري؛ إلا أن فائدة هذا البحث لا تقتصر على دراسة تاريخ المعتقدات والمذاهب حسب، إنما ترينا كيف شرع الإنسان الأول يفكر في نفسه وفي خالقه، وفي الرابطة التي تربط بينه وبين هذه القوة المدبرة، وتوقفنا من جهة ثانية على قيمة ما يظهر من النظريات في عصرنا الحاضر، وما نراه مستحدثاً وطريفاً في آراء البشر وفي معتقداته.

ومن الضروري جداً أن يعود الإنسان إلى تاريخ التفكير والمعتقد ليطلع من ورائه على غرائز البشر العامة، وعلى اتجاهاته كافة، وعلى تأثره بالظروف والأحوال، فوجود الانسان في مختلف مظاهره مرتبط تمام الارتباط ومستند بعضه الى بعض، وقد ترجع هذه التفكيرات والمعتقدات ـ عند التحليل والتمحيص ـ إلى أصل واحد، تشعبت منه وطوّرت الانسان وتطورت معه، ولكنها أصبحت بمرور الأزمان، مختلفة تمام الاختلاف، ومتباينة تباين سلائل الانسان الحاضر.

وغاية ما يأتي به الباحث في مواضيع غامضة كهذه، هو أن يدل المتتبع على أصلها الذي نشأت منه، ويلوح إلى العوامل والمؤثرات التي عملت على تفريعه.

و (الصابئة) من بين الأديان القديمة التي تستحق أن توضع موضع البحث الواسع في اللغة العربية ، وتستخلص زبدة الفكر فيها من كتب التاريخ والأديان القديمة، ويستعان على ذلك بما في كتب المؤلفين المعاصرين «الأجانب وغيرهم » من نظرات واجتهادات ، عسى أن تكوّن مجملا طريفاً في « تاريخ الصابئة » يستعين به قراء العربية على فهم هذا المذهب الغامض . فقد قال قوم : إنهم من « عباد الكواكب » وقال آخرون : هم فرقة بين النصارى والمجوس ، وقال الزمخشري : هم قوم عدلوا عن دين النصارى واليهود وعبدوا الملائكة . وقيل فيهم غير ذلك مما يطول بيانه ، وغالبه من باب الظن والحدس ، لأنهم يكتمون دينهم أشد الكتمان ، ولا يرون دخول الناس فيه، وإنما هم على مذهب من قال جرى القلم وأغلق الباب .

وقد يضطرنا البحث في « دين الصابئة » إلى التعرض إلى فكرة التوحيد ومنشئها والنظر فيها ، وفي الطريق التي توصل البشر بها إلى الاعتقاد بقوة واحدة تدبر هذا الكون ، وتهيمن عليه . فنقول استطراداً :

كيف عرف الخالق ؟

نظر البشر إلى هذا الكون فبهره ما يحيط به من مظاهر الطبيعة، وعجائب الكون ورأى نفسه موجوداً صغيراً عاجزاً عن رد طوارىء الطبيعة ، ومجابهة أحداثها ، فأكبر العاصفة ، وارتعدت فرائصه للصاعقة ، ورأى في كل تلك المظاهر قوة مدركة ، وحياة خاصة قاسها بما له من وجود وإدراك وحياة ، ورآها مثالا للقوة التي تستحق الانقياد والخضوع ، فنشأت من هنا فكرة العبادة لمظاهر الكون ، وشرع البشر في تأليه كل ما يخاف منه ، وكل ما يجهل كنهه ، أو يرى فيه شيئاً غريباً ، حتى تطورت فكرة الدين بتطور البشر ، وأصبحت المظاهر

الطبيعية تنضوي قواها وتسترصفاتها في قوى محصورة ثم في قوة واحدة .

فبعد أن كان الريح العاصف ، والصاعقة المحرقة ، والشمس المبهرة ، والنار المتأججة ، الى غير ذلك من مظاهر الطبيعة آلهة تعبد ، وأرباباً يطلب منها العون والمساعدة ، أصبحت تلك القوى التي استترت فيها متمثلة في عدد محصور من الكواكب السيارة ، وفي قوة تمثلهـــا تلك الكواكب ، وقـــد استمرت هذه الفكرة وتطورت حتى أصبح عدد الكواكب يتضـــاءل ، وأصبحت تلك الآلهة المتعددة يختفي بعضها ضمن بعض حتى لم يبق إلا إله واحد ، وأصبح الخلاف في صفاته ووجهات النظر اليه ، بعد ان كان نزاعاً وخلافاً في شركائه وأقرانه .

ولكن على الرغم من هذه التطورات التي تطوّرها البشر في عقيدته ، فإن جذور تلك الاعتقادات ما زالت باقية ، وما زال قسم من البشر ، يحتفـــظ بأصول العقائد الأولى ، وبصفات التفكير القديم ، كما يوجد الآن قسم من البشر يحتفظ بعادات البشر القديم بل بأشكاله وأوضاعه .

فالصابئة وإن أدخلت على معتقداتها بعض التعاليم الحديثة ، فإنها من أصحاب تلك المعتقدات التي كانت في الدور الأول للتفكير البشري . لأن تأليه الكواكب وعبادة النجوم ، والنظر اليها كمظاهر ذات أثر ، وذات إدراك ، من المعتقدات التي لم تنشأ إلا في العصور الغابرة (١) ، إلا ان لبعض الأقوام صفة الاحتفاظ بالتقاليد والعادات ، أو بالآراء والمعتقدات . وهذا ما نراه في أصول ديانة الصابئة وفي تعاليمهم وطقوسهم الدينية .

---

(١) وخوفا من اعتبارهم وثنيين فإنهم ينكرون إنكاراً باتا دعوى الناس بانهم من عباد الكواكب مع انهم يعجزون عن دعم إنكارهم ضد عدة آيات في بعض اسفارهم إه .
الدكتور فانيس في كتابه (اصدقائي العرب) ص ٢٣٣

قال الامام فخر الدين الرازي المتوفى عام ٦٠٦هـ (١٢٠٩م) الصابئة « قوم يقولون أن مدبّر هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم ، فهم عبدة الكواكب ، ولمابعث الله ابراهيم ع.م كان الناس على دين الصابية فاستدل ابراهيم ع.م عليهم في حدوث الكواكب كما حكى الله تعالى عنه في قوله ـ لا أحب الآفلين ـ واعلم أن عبادة الأصنام أحدث من هـذا الدين لأنهم كانوا يعبدون النجوم عند ظهورها ، ولما أرادوا أن يعبدوها عنـد غروبها لم يكن لهم بدّ من أن يصوروا الكواكب صوراً ومثلا فصنعوا أصناماً واشتغلوا بعبادتها فظهر من هاهنا عبادة الأوثان » (١) .

وقال الشيخ شمس الدين الدمشقي المعروف بشيخ الربوة المتوفى سنة ٧٢٧هـ (١٣٢٦م) :

وقيل إن الصابية قسمان : أحدهما القائلون بالهياكل وهم عبدة الكواكب والآخرون القائلون بالأشخاص ، وهم عبدة الأصنام ، فأما القائلون بالهياكل فإنهم يزعمون انهم أخذوا ذلك عن عاديمون ، وهو شيث النبي (ع) ، وعاديمون أخذه عن أخنوخ وهو هرمس الهرامسة ، هذا زعمهم الباطل . وأما الآخرون فيزعمون ان الأصنام صور روحانيات الكواكب ، وفي الصابية من اعتقـد وجوب (عبادة) الكواكب لدورانها وهم القـائلون بالأكوار والأدوار . وهؤلاء زعموا أن المعبود واحد وكثير . أما الواحد والوحدانية ففي الذات والأزل ، وأما الكثرة فلأنه يكثر بالأشخاص في رأي العين » اهـ (٢) .

وقال العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي المتوفى سنة ٨٠٨هـ ١٤٠٥م.

---

(١) كتاب « اعتقادات المسلمين والمشركين » القاهرة ١٣٥٦هـ (ص ٩٠)

(٢) كتاب « نخبة الدهر في عجائب البر والبحر » (بطرسبرغ ١٨٦٦م) ص ٤٤

« إن الصابئة هم القائلون بالهياكل والأرباب السماوية والأصنام الأرضية وإنكار النبوات ، وهم اصناف ، وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة ، وتولدت من مذاهبهم الحكمة الملطية ، ومنهم اصحاب الروحانيات وهم عباد الكواكب واصنامهم التي عملت على تمثالهـــا . أما الحنفـــاء فهم القائلون بأن الروحانيات منها ماوجودها بالقوة ،ومنها ماوجودها بالفعل ، فما هو بالقوة يحتاج الى ما يوجده بالفعل . ويقرون بنبوة ابراهيم ،وانه منهم وهم طوائف منها : الكاظمة اصحاب كاظم بن تارح ، ومن قوله ان الحق بين شريعة ادريس وشريعة نوح وشريعة ابراهيم ، ومنها البيدانية اصحاب بيدان الاصغر ومن قوله اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح ، وان النبوة من اسرار الإلهية . ومنها القنطارية اصحاب قنطار « الأصح قينانية اصحاب قينان» ابن ارفكشاد ويقر بنبوة نوح . ومنها اصحاب الهياكل ، ويرون الشمس إله كل إله .والحرانية ،ومن قولهم المعبود واحد بالذات وكثير بالأشخاص في رأي العيان وهي المدبرات السبع من الكواكب والأشخاص الأرضية الخيرة العالمة الفاضلة» اه

وهناك آراء ونقول اخرى لا نرى ضرورة لاثباتها هنا فلننتقل الى كيفية تفرع الديانة الصابئية الى ادوارها الأربعة .

ادوار الديانة الصابئية

لئن دلت « الديانة المحمدية السمحة » على شيع اسلاميـــة كثيرة ، ولئن شملت الديانتان : المسيحية والموسوية فرقاً نصرانية ويهودية مختلفة ، فإن مما لا شك فيه ان الديانة الصابئية تغيرت على مرور الزمن حتى تفرعت منهـــا فروع منوعة كانت تنتقل من دور الى دور كما هو آت .

١ً ـ الصابئـــة في الدور الأول

لا شك في أن الديانة التي سادت العالم في الأعصر الأولى كـــانت هي « الديانة الطبيعية » أي عبادة مظاهر الطبيعة (١) وكان للأجرام السماوية بين تلك المظاهر المقام الأول والقدح المعلّى . فكان البشر الأول ـ رغم دخوله في دور الحضارة ، وتأسيسه أصول المدنية ـ لا يزال في ديانته يمثل عصر ما قبل التاريخ ، فلم تخل حضارة البابليين والمصريين القدماء والفرس، حتى اليونان ـ على تأخر زمانهم ـ من تأليه مظاهر الطبيعة، وتقديس الأجرام العلوية.

وإذا اعتبرنا ان ديانة الصابئة هي عبادة الكواكب والنجوم ، فلاشك في أنها أقدم ديانة عرفها البشر في عصر التاريخ. اما اصول هذه الديانة فهي الاعتقاد بتعدد القوى المدبره لهذا الكون ، وبوجود قوة أعـــلى تهيمن على هذه القوى وتدبرها ، وما هذه الهياكل التي يقيمونها في الأرض ، وتلـــك المظاهر والطقوس التي يأتون بها في فروض عباداتهم، إلا وسائـــط تقرّبهم من تلك الأجرام التي حلت فيها القوة . فشكل الكوكب إذا نقش على خاتم، وهندسة البيت إذا بني على شكل خاص ، والحضور الى الهيكل او البيعة في أوقات معينة، والتوجّه لدى تلاوة الأسماء وتمجيد الآلهة الى جهة خاصة ، كل هذا مما يقرّب الانسان من مصدر القوة الأعلى .

هذه هي اصول ديانة الصابئة في دورها الأول ، وقد بقي بعد تطورها

---

(١) اختلف علماء تاريخ الاديان في قدمها فرأى بعضهم ان الديانات الطبيعية اقدم من الديانات الروحية ، ورأى البعض الآخر عكس ذلك ، اي ان الديانات الروحية اقدم من الديانات الطبيعية ؛ وكان كل من الطرفين يدعم رأيه ببعض الامارات . اما علماء الدين فلا شك عندهم في ان الديانات الروحية اسبق من الديانات الطبيعية لان آدم ؛ اصـــل البشر ، كان على دين التوحيد .

طوال هذه الأعصر شيء من تلك الأصول يوجد في عبادة الصابئة الحاليين من تعظيمهم للكواكب وتكريمهم للنجوم ، ولا سيما الكواكب السيـــارة السبع . أما النجم القطبي فله مقام ممتاز عندهم . فهو القبلة التي يتجه اليها في كل فرض وطقس يقوم به المتدين . وكل الشعائر اذا لم يتوجه بها الى هذا الكوكب فليست بمقبولة . فالهيكل اذا بني وجب جعل بابه مستقبلا له بحيث يكون الداخل اليه مستدبراً هذا النجم ، وبحيث تكون الشعائر التي تؤدى فيه متجهة بها الى جهته تبركاً بطلعته ، وتيمناً بما له من خواص .

وكأن هذه الميزة التي امتاز بها هذا الكوكب ، انما جاءته من جهة ثباته وبقائه في موضعه دون أن يغيب عن كبد السماء في كل ليالي الفصول. ومعلوم ما للمظهر الطبيعي من الأثر ـ ولا سيما على البشر الأول ـ في تكوين العقيدة ولكون الكواكب الأخرى تغيب عن كبد السماء في بعض الفصول ، وتظهر في الفصول الأخرى ، فقد جاءت بعد النجم الثابت في الدرجة .

أما الشمس والقمر فإنهما وان كانا مستمرين في الظهور ، الاان مايطرأ عليهما من الانتقال من برج الى برج ، ومن النقصان والكمال ، ومن الخسوف والكسوف كاد يفقدهما صفة الثبات التي امتاز بها الكوكب القطبي .

٢ ـ الصابئة في الدور الثاني

يكاد يكون تاريخ ديانة الصابئة تاريخاً عاماً للأديان الأخرى . فإن السنن التي تمشت عليها هذه الديانة ، والتطورات التي تطورت بها ، تبدو في سنن وتطورات سائر الأديان .

وغريب ان يذهب البعض الى القول بأن الصابئة انتقلت من دورها الأول الى دورها الثاني مباشرة دون تطور . ولا يستطيع الباحث المنقب ـ

مهما ساعدته المصادر ـ ان يقف على حلقات الانتقال من الدور الأول «في عبادة الأجرام» الى الدور الثاني «في عبادتها على هيئة الأصنـــام والرموز والأوابد» وكل ما يعرفه التاريخ ان الصابئة ـ بعد مرور عهود طويلـــة ـ أصبحت تبني الهياكل وتسميها بأسماء الكواكب، وتقيم في اوساطها التماثيل، وتبني على المرتفعات العالية الأوابد والرموز.

اما الاسباب التي دعت الى هذا الانتقال فهي مما تساعد عليـــه عوامل التطور، ويقتضيه تقدم البشر في الحضارة. فالفكر وسائر وجودات الانسان الاخرى تتماشى معاً وتتطور على نسق واحد.

وقد فطن «المسعودي» المؤرخ الشهير المتوفى سنة ٣٤٥هـ(٩٥٦م) الى هذا المعنى فذكره قائلا:

«فأقاموا على ذلك ـ اي اقاموا على عبادة الله والكواكب ـ برهة من الزمان وجملة من الأعصار حتى نبههم بعض حكمـــائهم على ان الافـــلاك والكواكب أقرب الاجسام المرئية الى الله تعالى، وانها حية ناطقة، وان الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله، وان كل ما يحدث في هذا العالم، فإنما هو على قدر ما تجري به الكواكب على امر الله؛ فعظموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم، فمكثوا على ذلك دهراً. فلما رأوا الكواكب تختفي بالنهار، وفي بعض اوقات الليل لما يعرض في الجو من السواتر، امرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم ان يجعلوا لها اصناماً وتماثيل على صورها واشكالها فجعلوا لها اصناماً وتماثيل بعدد الكواكب الكبار المشهورة وكـــل صنف منهم يعظم كوكباً منها ويقرّب لها نوعـــاً من القربان خـــلاف ما للآخر على انهم اذا عظموا ما صوروا من الاصنام، تحركت لهم الاجسام العلوية من السبعـــة

بكل ما يريدون ، وبنوا لكل صنم بيتاً وهيكلا منفرداً وسموا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب » (١) .

أما الرموز فكانت عبادة ترمي إلى إظهار الأجسام العلوية بأجسام طبيعية سفلية فالنار ، والماء ، والهواء ، مما يرمز به إلى تلك الكواكب ، لأنها صادرة منها ، ومن هنا جاءت عبادة النار ، واستقل بها فرع من الصابئة دعي بعد ذلك (بعبادي النار أو المجوسية) .

ولا يزال الصابئون الحاليون يقدسون مظاهر الطبيعة ، ويرون في النار والشهب والرعد ، والبرق ، وسائر الظواهر الجوية ، رمزاً يعبر عن إحدى تلك الكواكب ، وقد تخيلوا لتلك الأجرام العلوية أشكالا خاصة نحتوا على صورها الأوابد والتماثيل المقامة في الأماكن المرتفعة ، فكان لكل نجم صورة ، ولكل كوكب تمثال خاص يمثله في أدوار ظهوره ، وهكذا ظلت الأوابد والتماثيل الخالدة تعبر لنا عن تفكير البشر الأول في خالقه وتصوره للقوة المدبرة

٣ ـ الصابئة في الدور الثالث

بدأ هذا الدور باستقرار ديانة الصابئة ، ودخولها ضمن الكتب والأسفار ، واعتناء الكهنة بدراستها وتدريسها ، فكانت وكان فيها مجال واسع للنظر ، والبحث ، والفلسفة ، والتعليل ، شأن كل ديانة تستقر وتستمر .

والذي يظهر من تتبع التاريخ أن هذا الدور كان دور تعليل وتحليل لأصول الديانة ، وكان لانقطاع الرهبان والكهنة إلى الدراسة والعبادة شأن في إدخال الآراء الفلسفية على تعاليم الدين . أضف إلى ذلك أن العلم بظواهر الكون ، والبحث فيه ، كان من جملة ما تدرسه المدرسة الأولى ، وما تعني

(١) مروج الذهب « القاهرة ١٩٣٨م » ج٢ ص١٣٥

بالبحث عنه ، فكان لزاماً أن يتأثر الدين بالفلسفة ، وأن تظهر التعليلات النظرية في المعتقدات الدينية ، ولا سيما وأن الفلسفة في تلك العصور لم تكن في مبادئها علمية بحتة ، بل كان للدين تأثير عليها فكان مما لابدّ منه أن تصبح الفلسفة دينية ، وأن يصبح الدين فلسفة .

فتعاليم الصابئة في هذا الدور تأثرت نوعاً ما بهذا النوع من الفلسفة ، وكانت الأبحاث تدور عن حقيقة التمثيل والقوة ، وعن قابلية الكواكب واستعدادها ، وعن التأثيرات الكونية وعلاقتها بهذه الكواكب ، وعن خواص الاسماء والحروف ، وعن مبدأ العالم ومنتهاه .

كل هذه الاشياء كانت مما يبحث عنها ، ولكن عللها لم تكن علمية بحتة نظراً لبداية البشر في فهم الكون ، إنما كانت كل التعليلات دينية تربط بخالق القوة وبمشيئته فالشكل المربع مثلا في نظرهم إذا كتب في ساعة معينة من ساعات النهار أو الليل بحروف خاصة لكوكب من الكواكب السيارة أصبح ذا أثر في الخارج .

أما السبب في هذا الاثر ، وفي هذه القوة التي ظهرت في المربّع فمستند في نظرهم إلى ما منح الله ذلك الكوكب من قوة التأثير ، وهكذا كانت تعلل كل أصول الدين وأسراره بأمثال هذه العلل .

ويمكننا من دراسة تاريخ بعض الديانات أن نعرف الادوار التي ظهر فيها بعض الانبياء ، فزمن الخليل الذي جاء ذكره في القرآن الكريم ، وطرق استدلاله ومحاججته يبين بوضوح أنه جاء في زمن الفلسفة الدينية ، اي الدور الثالث للديانة الصابئية .

ولم تنجُ هذه الديانة ـ كغيرها من الاديان ـ من التأثر بالفلسفة اليونانية التي جاءت بعد أن نضجت الفلسفة ، وحاولت الاستقلال عن الدين ، فقد

أدخل الصابئون كثيراً من الآراء الفلسفية اليونانية في تعاليمهم ، وقد يكون هذا التجدد في نهاية الدور الثالث الذي دعي بعد ذلك بدور الفلسفة .

٤ ـ الصابئة في الـــدور الرابع

كان للانقلاب الذي حدث قبل المسيح (ع) وماجاء بعده من تطورات دينية أثر بيّن في سائر الديانات الاخرى ، وكانت فكرة ظهور مجدّ دللديانة متغلغلة في نفوس أصحاب كل دين . فقد مال الصابئة إلى الاعتقادبان يوحنا المعمدان هو الرجل المجدد المنتظر فاعتقدوا به ، وعظموه ، وما زال الصابئة حتى الآن يذكرون له بعض التعاليم ، ويعتقدون به كنبي مجدد أرسل اليهم دون غيرهم من البشر.

ومن الخطأ الاعتقاد بأن الصابئة قد انقرضت منـذ ظهور المسيح (ع) وأن المعتقدين بها قد اندمجوا بالديانة النصرانية ، اذ لا نزال القسم الكبير من الصابئة الحاليين يعتقدون بأصول المعتقد الاول الـــذي يرمي الى تقـــديس الكواكب وتأليه النجوم أو تعظيمها على الاقل .

﴿ الصابئون لغة ﴾

قال ابن منظور صاحب (لسان العرب) المتوفى سنة ٧١١هـ ١٣١١م في مادة صبأ .

(صبأ) الصابئون قوم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام بكذبهم. وفي الصحاح جنس من أهل الكتاب وقبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار ، التهذيب الليث . الصابئون قوم يشبه دينهم دين النصـــارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون أنهم على دين نوح وهم كاذبون. وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي ﷺ قد صبأ عنوا انه خرج من دين الى دين وقد

صبأ يصبأ صبأ وصبواً وصبوء يصبؤ صبأ وصبوأ كلاهما خرج من دين الى دين آخر كما تصبأ النجوم أي تخرج من مطالعها . وفي التهذيب صبأ الرجل في دينه يصبأ صبوأ إذا كان صابئاً. أبو اسحق الزجاج في قوله تعالى والصابئين معناه الخارجين من دين إلى دين يقال صبأ فلان يصبأ إذا خرج من دينه أبو زيد يقال أصبأت القوم إصباءاً إذا هجمت عليهم وأنت لا تشعر بمكانهم وأنشد « هوى عليهم مصبئاً منقضاً » وفي حديث بني جذيمة كانوا يقولون لما أسلموا صبأنا صبأنا وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصابىء لأنه خرج من دين قريش إلى الإسلام ويسمون من يدخل في دين الإسلام مصبوًّا لانهم كانوا لا يهمزون فابدلوا من الهمزة واواً ، ويسمون المسلمين الصباة بغير همز كأنه جمع الصابي غير مهموز كقاضٍ وقضاة وغاز وغزاة . وصبأ عليهم يصبأ صبــأ وصبوأ وأصبأ كلاهما طلع عليهم وصبأ ناب الخف والظلف والحافر يصبأ صبوأ طلع حده وخرج . وصبأت سنُّ الغلام طلعت وصبأ النجم والقمر يصبأ وأصبأ كذلك ، وفي الصحاح اي طلع الثريا قال الشاعر يصف قحطاً :

وأصبأ النجم في غبراء كاسفة كأنه بائس مجتــاب أخلاق

وصبأت النجوم إذا ظهرت وقدم اليه طعام فما صبأ ولا أصبأ فيه أي ما وضع فيه يده عن ابن الاعرابي أبو زيد يقال صبــأت على القوم صبــأ وصبعت وهو أن تدل عليهم غيرهم . وقال ابن الاعرابي صبأ عليه إذا خرج عليه ومال عليه بالعداوة وجعل قوله عليه الصلاة والسلام لتعودن فيها أساود صُبّى فعلامن هذا خفف همزه أراد أنهم كالحيّات التي يميل بعضهــا على بعض » انتهى بنصه (١) .

---

(١) لسان العرب ج١ ص١٠٢ - ١٠٣

وقال الفيومي صاحب «كتاب المصباح المنير» المتوفى سنة ٧٧٠هـ ١٣٦٨م

« ... وصبأ من دين إلى دين يصبأ مهموز بفتحتين خرج فهو صابىء ثم جعل هذا اللقب علما على طائفة من الكفار يقال إنها تعبد الكواكب في الباطن وتنسب الى النصرانية في الظاهر ، وهم الصابئة والصابئون ، ويدعون أنهم على دين صابىء بن شيث بن آدم» (١).

هذا أهم ما جاء في اللغة العربية عن الصابئة « وذهب جسنيوس العالم اللغوي الألماني إلى أن كلمة صابئين مشتقة من صباؤوث العبرانية أي جند السماء دلالة على أنهم يعبدون الكواكب . وذهب نولدكي إلى أنها مشتقة من صب الماء إشارة إلى اعتمادهم بالماء لأنهم يعتمدون كالنصارى وقال غيره إن البياتة المسيحية اتصلت ببقية الكلدانيين فنشأ منهم مسيحيو مار يوحنا في البصرة وهم الصابئون » (٢) .

هذا قليل من كثير مما جاء عن تعريف كلمة الصابئة لغوياً .

---

(١) المصباح المنير « القاهرة ١٩١٢ » ص٥٠٩

(٢) القس صموئيل زويمر في « المقتطف ج٢٣ ص٨٧ »

فرق الصابئة

لا شك أن أهم ما يلزم للباحث - حينما يريد أن يجزىء مبحثاً من المباحث أو ينظر في موضوع من الموضوعات - هو أن يلقي نظرة إجمالية على ذلك المبحث أو الموضوع ، ليكوّن للقارىء فكرة عامة عن منشأ تلك التجزئة ومبعث ذياك التقسيم .

ومن الصعب جداً أن نتوصل بصورة تاريخية دقيقة إلى الأزمنة التي تفرّعت فيها الأديان ، وتجزأت فيها المذاهب ، ولكن ذلك لا يمنعنا من الدخول في موضوع « الصابئة » وأمثالها من الأديان القديمة الكبرى ، ولا يمنعنا أيضاً من البحث عن فرقها التي تفرعت عنها .

ولئن كانت لفظة « الصابئة » عامة تتناول - بحسب مفهومها - قسما واحداً من المتدينين بهذا الدين ، فإن البحث التاريخي يدلنا على فرق متعددة ومذاهب متشعبة ، تندمج كلها تحت هذا الاسم ، ويجمعها جامع هذا المفهوم على ما بينها من اختلاف في العقيدة والفروع ، وعلى ما أصابها من تطور في الزمان والمكان .

وقد تطرق العلماء والمحدثون إلى تقسيم الصابئة ، وبيان الفرق التي نشأت منها ، وعرفوا كل قسم بما له من معتقد ، وبما يمتاز به من عبادة ، وما يقطنه من مكان ، إلا أن القسم الأغلب من اولئك الباحثين كان معتمداً في بحثه على غيره ، وكان ناقلا مجرداً ، غير متبحرٍ ولا متوغل . ولعل أحسن من توسع في هذا البحث ، وبيّن الفرق الصابئية على اختلاف أنواعها وألوانها ، مستنداً

إلى العقل والنقل ، هو الإمام أبو الحسن علي بن محمد المكنى بابي علي بن سالم التغلبي ، الفقيه الاصولي الملقب سيف الدين الآمـــدي المتوفى عام ٦٣١هـ (١٢٣٣م) فقد ذكر في مخطوطه (كتاب أبكار الافكار) ان اشهر فرق هذه الملة اربع وهي :

الفرقة الاولى

« اصحاب الروحانيات : وقد يقال ذلك بالرفع أخذاً من الروح ، وهو جوهر ، وقد يقال بالنصب وهو حالة خاصة به ، وقد زعم هؤلاء ان اصل وجود العالم يتقدس عن سمات الحدث ، وهو أجل وأعلى من أن يتوصـــل إلى جلاله بالعبودية له ، والخدمة من السفليات وذوات الانفس المنغمسة في عالم الرذائل والشهوات ، وإنما يتقرب اليه بالمتوسطات بينه وبين السفليات وهي أمور روحانية مقدسة عن المواد الجرمانية ـ نسبة إلى الجرم ـ والقوى الجسمانية والحركات المكانية ، والتغيرات الزمانية في جوار رب العـــالمين ، مجبولون على تقديسه وتمجيده وتعظيمه دائماً وسرمداً» .

« قالوا وهم آلهتنا وأربابنا ووسائلنا إلى حاجاتنا ، وبهم يتقرب الى الله تعالى . وهي المديرة للكواكب الفلكية ، والمدبرة لها على التناسب المخصوص بحيث يتبعها انفعالات في العناصر السفلية ، وحركات بعضهـــا الى بعض ، وانفعال بعضها عن بعض عند الاختـــلاط والامتزاج المفضي الى التركب الموجب لتنوع المركبات ، الى انواع المعادن والنبات والحيوانات ، وتصريف موجودات الاعيان من حال الى حال ، ومن شأن الى شأن ، إلى غير ذلك من الآثار العلوية والسفلية .

وزعموا ان الكواكب الفلكية هي هياكل هذه الروحانيات ، وان نسبة

الروحانيات اليها في التقدير لها ، والتدوير ، نسبة الانفس الانسانية الى أبدانها ، وان لكل روحاني هيكلا يخصه ، ولكل هيكل فلكاً يكون فيه . وزعموا ان المعرف لهم : غارميون وهرمس اللذان هما أصل علم الهيئة وصناعة النجامة . وهرمس هو أول من قسّم البروج ، ووضع أسماءها ، وأسماء الكواكب السيارة ، ورتبها في بيوتها ، وبين الشرف والوبال ، والاوج والحضيض ، والمناظر والتثليث ، والتسديس ، والتربيع ، والمقابلة والمقارنة والرجوع والاستقامة ، والميل والتعديل ، واستقل باستخراج أكثر الكواكب وأحوالها ، وقيل غارميون هو شيث ، وهرمس هو ادريس عم » .

الفرقة الثانية

« أصحاب الهياكل : فإنهم قالوا إذا كان لا بد للانسان من متوسط ، فلا بد من أن يكون ذلك المتوسط مما نشاهده ونراه ، حتى نتقرب اليه . والروحانيات ليست كذلك فلا بد من متوسط بينها وبين الإنسان ، وأقرب ما اليها هياكلها فهي الآلهة والارباب المعبودة ، والله تعالى رب الارباب ، واليها التوسل والتقرب ، فإن التقرب اليها تقرب الى الروحانيات ، التي هي كالارواح بالنسبة اليها .

« ولا جرم انهم دعوا الى عبادة الكواكب السبعة السيارة ، ثم أخذوا في تعريفها ، وتعريف أحوالها بالنسبة الى طبائعها ، وبيوتها ، ومنازلها ، ومطالعها ، ومغاربها ، واتصالاتها ، ونسبتها الى الاماكن والازمان ، والليالي والساعات ، وما دونها ، الى غير ذلك ثم تقربوا إلى كل هيكل وسألوه بما يناسبه من الدعوات ، فيما يناسبه من الاماكن ، والازمان واللباس الخاص به ، والتختم بالخاتم المطبوع على صورته . والهياكل عندهم أحياء ناطقة

بحياة الروحانيات التي هي أرواحها ، ومتصرفة فيها ،ومنهم من جعل هيكل الشمس رب الهياكل والأرباب ، وهذه الهياكل هي المدبرة لكل ما في عالم الكون والفساد على ما سلف ذكره في تعريف مذهب الفريق الأول ، وبما احتجوا على وجود هذه المدبرات ، وانها أحيـــاء ناطقـــة ، بأن حدوث الحوادث إما أن يكون مستنداً إلى حادث أو قديم ، ولا جـــائز أن يكون مستنداً الى حادث ، إذ الكلام فيه كالكلام في الأول ، والتسلسل والدور محالان ، فلم يبق الا أن يكون مستنداً الى ما هو في نفسه قديم ،وذلك القديم اما أن يكون موجباً بذاته او بالاختيار فإن كان الأول ، فإما ان يكون كل ما لا بد منه في ايجاد الحوادث متحققاً معه ، او انه متوقف على تجدد ، فإن كان الأول ، فيلزم قدم المعلول ، والقدم علته وشرطه وهو محال ، وإن كان الثاني فالكلام في تجدد ذلك الأمر كالكلام في الأول ، وهو تسلسل فلم يبق الا ان يكون فاعلا مختاراً ، وليس في عالم الكون والفساد فاعل قديم مختار الا الأفلاك والكواكب ولذلك حكموا بكونها أحياء ناطقة .

الفرقة الثالثـــة

أصحاب الأشخاص : وهؤلاء زعموا أنه اذا كان لابد من متوسط مرئي فالكواكب وان كانت مرئية ، الا انها قد ترى في وقت دون وقت ، لطلوعها وأفولها ، وظهورها ، وصفائها نهاراً ، فدعت الحاجة الى وجود اشخاص مشاهدة نصب أعيننا تكون لنا وسيلة الى الهياكـــل ، التي هي وسيلـــة الى الروحانيات ، التي هي وسيلة الى الله تعالى ، فاتخذوا لذلك أصناماً مصورة على صور الهياكل السبعة . كل صنم من جسم مشارك في طبيعته لطبيعة ذلك الكوكب ، ودعوه وسألوه بما يناسب ذلك الكوكب في الوقت والمكـان ،

واللبس والتختم بما يناسبه ، والتخير المناسب له على حسب ما يفعله أرباب الهياكل الا انها هي المعبودة على الحقيقة ، وهذا هو الأشبه بسبب اتخـــاذ الأصنام .

ويحتمل أن يكون اتخاذ الأصنام ، بالنسبة الى غير هذه الفرقة ، وتعظيمها لاتخاذها قبلة لعباداتهم ، او لأنها على صورة بعض من كان يعتقد فيه النبوة والولاية تعظيما له ، او لأن قدماء أرباب الهياكل والأصنام وعلمائهم ، ركبوا طلاسم ، ووضعوها فيها ، وأمروهم بتعظيمها لتبقى محفوظة بها ، والا فاعتقاد الإلهية فيما اتخذوا صوراً من الأخشاب ، والأحجار ، وكونه خالقـــاً لمن صوره ، ومبدعاً لما وجدوه قبل وجوده من العالم العلوي والسفلي ، ممـــا لا يستجيزه عقل عاقل ، بل البداهة شاهدة برده ، وابطاله وان وقع ذلك معتقد البعض الرقاع (كذا) ومن لا خلاق له من العوام منهم فلا يلتفت اليـــه ولا معوّل عليه .

الفرقة الرابعـــة

« الحلولية : وهؤلاء زعموا أن الإله المعبود واحد في ذاته ، وأنه أبدع أجرام الأفلاك وما فيها من الكواكب ، وجعل الكواكب مدبراً لما في العالم السفلي ، فالكواكب آباء أحياء ناطقة ، والعناصر أمهات ، وماتؤديه الآباء من الآثار الى الأمهات تقبلها بأرحامها ، فتحصل من ذلك المواليـــد وهي المركبات ، والإله تعالى يظهر في الكواكب السبعة ، ويتشخص بأشخاصها ، من غير تعدد في ذاته ، وقد يظهر أيضاً في الاشخـــاض الارضية الخـــيِّرة الفاضلة ، وهي ما كان من المواليد ، وقد يتركب من صفو العناصر دون كدرها ، واختص بالمزاج القابل لظهور الرب تعالى فيه اما ذاته واما صفة

من صفات ذاته ، على قدر استعداد مزاج ذلك الشخص . وزعموا أن الله يتعالى عن خلق الشرور ، والقبائح ، والاشياء الخسيسة الدنية كالحشرات الارضية ونحوها ، بل هي واقعة ضرورة اتصالات الكواكب ، سعادة ونحوسة ، واجتماعات العناصر صفوة وكدورة ، وزعموا أيضاً أنه على رأس ستة وثلاثين ألف سنة وأربعمائة وخمس وعشرين سنة يحدث روحاني على رأس الدور الآخر ، وكذا الى ما لا يتناهى ، وأن الثواب والعقاب على أفعال الخير والشر كل دور واقع لكن في الدور الذي بعده في هذه الدار لا في غيرها.

« والصابئة على اختلافهم في المبادىء متفقون على وجوب ثلاث صلوات في اليوم ، والاغتسال من الجنابة ، ومس الميت ، وعلى تحريم لحم الخنزير ، والكلب والجزور ، وما له مخلب من الطير ، والسكْر ، وأمروا بالنكاح بولي وشهود ، ونهوا عن الجمع بين امرأتين ، وعن الطلاق الا بحكم حاكم شرعي الى كثير من الاحكام المشروعة في شرعنا هذا » اه .

الفرق بين فرق الصابئة

لعل التقسيم الذي أثبته « سيف الدين الآمدي » في مخطوطته « كتاب ابكار الافكار » كان فيما يخص الصابئة على الإطلاق ، وفي مختلف عصورها القديمة ، ونحن نعلم أن الصابئة اسم لامة عاشت في اويقات مختلفة ، وعصور متباينة ، وأن ذكرها قد ورد في كتب مقدسة ، واخرى تاريخية قديمة ، مما لا بد من الاشارة اليه ولو إشارة طفيفة ، وان كان بحثنا الرئيسي يستهدف « صابئة البطائح » الذين ينتشرون على ضفاف الانهر الكبيرة في جنوبي العراق.

ومن المتعذر جداً ان يوفق الباحث في المذاهب والمعتقدات لمعرفة ما بين فرق الصابئة من الرابطة ، فقد ذكر القرآن قسما من الصابئة نعتقد أنه انقرض

وعفت أخباره ، وذكر المؤرخون قسما آخر من الصابئة عرف « بالصابئة الحرانية » لا نرى علاقة له بصابئة العراق الحاليين ، وسنعالج هذه الاقسام فيما يلي بقدر ما وصل اليه علمنا القليل .

صابئة القرآن

ورد ذكر « الصابئة » في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

الاول ـ في الآية ٦٢ من السورة الثانية « سورة البقرة » قوله تعالى:

«إِنَّ ٱلَّذينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا وَالنَّصارى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صالحاً فَلَهُمْ أَجرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ» .

الثاني ـ في الآية ٦٩ من السورة الخامسة «سورة المائدة» قوله عز من قائل:

« إِنَّ ٱلذينَ آمَنُوا وَالذينَ هادوا والصَّابِئُونَ والنَّصارى مَنْ آمنَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ » إه .

الثالث ـ في الآية ١٧ من السورة ٢٢ « سورة الحج » قوله جل جلاله :

« إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا والصَّابِئِينَ والنَّصَارَى وَٱلْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » إه .

قال الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى سنة ٥٥٢هـ ١١٥٧م « وهو من أكابر علماء الامامية في القرن السادس » في تفسير كلمة « الصابئة » الواردة في سورة البقرة :

« والصابئون جمع صابىء ، وهو من انتقل إلى دين آخر . وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره سمي في اللغة صابئاً . قال أبو علي ، قال أبو زيد: صبأ الرجل في دينه يصبأ صبؤاً ، اذا كان صابئاً وصبأ ناب الصبي يصبأ صبئاً اذا

طلع ، وصبأت عليهم تصبا صبا وصبواً اذا طلعت عليهم ، وطرأت مثله ، فكأنّ معنى الصابىء التارك دينه الذي شرّع له ، الى دين غيره . كما ان الصابىء على القوم تارك لأرضه ومنتقل الى سواها والدين الذي فارقوه هو تركهم التوحيد الى عبادة النجوم أو تعظيمها . قال قتادة : وهم قوم معروفون ، ولهم مذهب يتفردون به ، ومن دينهم عبادة النجوم ، وهم يقرون بالصانع ، وبالمعاد ، وببعض الأنبياء . وقال مجاهد والحسن : الصابئون بين اليهود والمجوس لا دين لهم ، وقال السديّ : هم طائفة من أهل الكتاب يقرأون الزبور ، وقال الخليل : هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى الا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب ، حيال منتصف النهار ، يزعمون أنهم على دين نوح . وقال ابن زيد : هم اهل دين من الأديان كانوا بالجزيرة ، جزيرة الموصل ، يقولون لا إله إلا الله ولم يؤمنوا برسول الله فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي ﷺ ولأصحابه : هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم ، وقال آخرون : هم طائفة من أهل الكتاب ، والفقهاء بأجمعهم يجيزون أخذ الجزية منهم ، وعندنا لا يجوز ذلك لأنهم ليسوا بأهل كتاب » (١) .

الصابئة الحرانية

قال أبو الفرج محمد بن اسحق بن محمد بن اسحق الورّاق البغدادي المعروف بابن النديم ، المتوفى نحو عام ٣٨٥هـ (٩٩٥م) .

« قال أبو يوسف ايشع القطيعي النصراني في كتابه في الكشف عن مذاهب الحرنانيين المعروفين في عصرنا بالصابّة : « ان المأمون اجتاز في آخر أيامه بديار مضر يريد بلاد الروم للغزو ، فتلقاه الناس يدعون له ، وفيهم جماعة

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ١/١٢٦ « صيدا ١٣٣٣ مطبعة العرفان » .

من الحرنانيين ، و كان زيّهم إذ ذاك لبس الأقبية ، وشعورهم طويلة بوفرات كوفرة قرة جد سنان بن ثابت ، فأنكر المأمون زيهم وقال لهم من أنتم من الذمة؟ فقالوا : نحن الحرنانية ! فقال أنصارى أنتم ؟ قالوا لا ! قال : فيهود أنتم ؟ قالوا : لا ! قال فمجوس أنتم ؟ قالوا لا ! قال لهم أفلكم كتـــاب أم نبي ؟ فمجمجوا في القول . فقال لهم فأنتم إذن الزنادقة ، عبدة الأوثان ، وأصحاب الرأس في أيام الرشيد والدي ، وأنتم حلال دماؤكم ، لاذمّة لكم! فقالوا: نحن نؤدي الجزية! فقال لهم انما تؤخذ الجزية ممن خالف الإسلام من أهل الأديان الذين ذكرهم الله عزوجل في كتابه ولهم كتاب ، وصالحه المسلمون عن ذلك ، فأنتم ليس من هؤلاء ولا من هؤلاء فاختاروا الآن أحد أمرين: اما ان تنتحلوا دين الإسلام ، أو ديناً من الأديان التي ذكرها الله في كتابه ، وإلا قتلتكم عن آخركم فإني قد أنظرتكم الى ان أرجع من سفرتي هذه فإن أنتم دخلتم في الإسلام او في دين من هذه الأديان التي ذكرها الله في كتابه ، وإلا أمرت بقتلكم واستيصال شأفتكم . ورحل المأمون يريد بلد الروم فغيّروا زيّهم ، وحلقوا شعورهم ، وتركوا لبس الأقبية ، وتنصر كثير منهم ولبسوا زنانير ، وأسلم منهم طائفة ، وبقي منهم شرذمة بحالهم ، وجعلوا يحتالون ويضطربون حتى انتدب لهم شيخ من أهل حرّان فقيه فقال لهم: قد وجدت لكم شيئاً تنجون به وتسلمون من القتل ، فحملوا اليه مالا عظيماً من بيت مالهم ، أحدثوه منذ أيام الرشيد إلى هذه الغاية ، أعدُّوه للنوائب وأنا اشرح لك ايدك الله السبب في ذلك فقال لهم : اذا رجع المأمون من سفره فقولوا له : نحن الصـــابئون فهذا اسم دين قد ذكره الله جل اسمه في القرآن فانتحلوه فأنتم تنجون به . وقضي ان المأمون توفي في سفرته تلك بالبذندون وانتحلوا هذا الاسم منذ

ذلك الوقت لأنه لم يكن بحرّان ونواحيها قوم يسمون بالصابئة . فلما اتصل بهم وفاة المأمون، ارتدّ أكثر من كان تنصر منهم، ورجع الى الحرنانية، وطوّلوا شعورهم حسب ماكانوا عليه قبل مرور المأمون بهم على انهم صابئون ، ومنعهم المسلمون من لبس الأقبية لأنه من لبس أصحاب السلطان ، ومن اسلم منهم لم يمكنه الارتداد خوفاً من أن يقتل فأقاموا متسترين بالإسلام ، فكانوا يتزوجون بنساء حرّانيات ، ويجعلون الولد الذكر مسلماً ، والأنثى حرنانية ، وهذه كانت سبيل كل أهل ترعوز وسلمسين: القريتين المشهورتين العظيمتين بالقرب من حرّان إلى منذ نحو عشرين سنة ، فإن الشيخين المعروفين بأبي زرارة وأبي عروبة، علماء شيوخ أهل حران بالفقه والأمر بالمعروف وسائر مشايخ أهل حران وفقهائهم احتسبوا عليهم، ومنعوهم من أن يتزوجوا بنساء حرانيات ، اعني صابيات ، وقالوا لا يحل للمسلمين نكاحهم لأنهم ليسوا من أهل الكتاب . وبحرّان أيضاً منازل كثيرة الى هذه الغاية، بعض اهلها حرنانية ممن كان أقام على دينه في أيام المأمون ، وبعضهم مسلمون ، وبعضهم نصارى ممن كان دخل في الإسلام وتنصر في ذلك الوقت. الى هذه الغاية مثل قوم يقال لهم بنو ابلوط ، وبنو قيطران وغيرهم مشهورين بحران» (١) .

هذا هو النص الذي اثبته « ابن النديم » في «فهرسته» عن «صابئة حران».

والذي يظهر من أسئلة المأمون لهؤلاء القوم ، الذين صادفهم في سفره والذين لم يكن على علم بهم ، مع ما كان عليه من سعة العلم ، وواسع المعرفة والاطلاع على مختلف الأديان والنحل ، حيث كان يجتمع في مجلسه العلمي رؤساء المذاهب والأديان على اختلافها ، إنهم لم يكونوا في بدء الأمر صابئة

(١) الفهرست لإبن النديم ص٣٢٠ – ٣٢١ من طبعة لايبسك سنة ١٨٧١

وليس لهم علاقة بالصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، يدلنا على ذلك انهم فكروا في الأمر ملياً، وانهم اضطروا الى ان يستشيروا فقهاء حرّان وعلماءها وشيوخها في الأمر ، فلو انهم كانوا من فرق الصابئة لما اشكل هذا الأمر عليهم ، ولما احتاجوا الى ان ينتحلوا هذا الاسم انتحالا .

وكانت وفاة المأمون في عام ٢١٨هـ (آب ٨٣٣م) فيكون «الحرانيون» قد انتحلوا هذا الاسم من ذلك الوقت ، ولم يكن بحران قوم يسمون او يعرفون بالصابئة قبل هذا العام .

على اننا نعرف من تاريخ الصابئة الحاليين ، وهم اقرب الى الصابئة الأقدمين من غيرهم ، انهم يعيشون على ضفاف الأنهر : كدجلة ، والفرات وشط العرب ، وكارون ، وانه لا أثر لديانة الصابئة في حران ولا معبد لهم مقدس هناك ، وما شوهد من طقوسهم الدينية ، وطرز معيشتهم ، وعبادتهم وانتسابهم الى الأرض التي يسكنونها دون العبادة التي يعبدونها ، كل ذلك يدلنا على ان (الحرانية) دين قديم اراد اصحابه الابقاء عليه فانتحلوا له اسم (الصابئة) انتحالا .

وقد نقلت عدة مراجع (كلام ابن النديم) على علاته ، ونقله علماء ومستشرقون من الألمان الى كتبهم فلم يناقشوه ، مع ما عرف به الألمان وسائر المستشرقين ، من التمحيص والتدقيق ، فكانهم اكتفوا بهذا الكلام ، ولم يفرقوا بين ما ذكره القران من الصابئة ، وبين (الصابئة الحرانية) .

قال الامام ابو الفتح : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ (١١٥٣م) يصف (الصابئة الحرنانية) (١) وعقائدهم ما نصه :

---

(١) نسبة الى حرّان على غير قياس

(هم جماعة من الصابية قالوا الصانع المعبود واحد كثير، اما الواحد ففي الذات والأول والأصل والأزل ، وأما الكثير فلأنه يتكثر بالأشخاص في رأي العين ، وهي المدبرات السبع ، والأشخاص الأرضية الخيرة العالمة الفاعلة ، فإنه يظهر بها ويتشخص بأشخاصها ، ولا تبطل وحدته في ذاته ، وقالوا هو أبدع الفلك ، وجميع ما فيه من الأجرام والكواكب ، وجعلها مدبرات هذا العالم ، وهم الآباء ، والعناصر امهات ، والمركبات مواليد ، والآباء أحياء ناطقون ، يؤدون الآثار إلى العناصر فتقبلها العناصر في أرحامها فيحصل من ذلك المواليد ، ثم من المواليد قد يتفق شخص مركب من صفوها دون كدرها ، ويحصل مزاج كامل الاستعداد فيتشخص الإله به في العالم ، ثم ان طبيعة الكل تحدث في كل إقليم من الأقاليم المسكونة على رأس كل ستة وثلاثين ألف سنة وأربعماية وخمس وعشرين سنة زوجين من كل نوع من أجناس الحيوانات ذكراً وانثى ، من الإنسان وغيره ، فيبقى ذلك النوع تلك المدة ، ثم إذا انقضى الدور بتمامه انقطعت الأنواع نسلها وتوالدها فيبتدىء دور آخر ، ويحدث قرن آخر من الإنسان والحيوان والنبات ، وكذلك أبد الدهر ، قالوا وهذه هي القيامة الموعودة على لسان الأنبياء، وإلا فلا دار سوى هذه الدار ، وما يهلكنا إلا الدهر ، ولا يتصور إحياء الموتى وبعث من في القبور « أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون ، هيهات هيهات لما توعدون » وهم الذين أخبر التنزيل عنهم بهذه المقالة ، وإنما سمّا أصل التناسخ والحلول من هؤلاء القوم ، فإن التناسخ هو أن يتكرر الأكوار والأدوار إلى ما لا نهاية ، ويحدث في كل دور مثلما حدث في الأول والثواب والعقاب في هذه الدار ، لا في دار أخرى لا عمل فيها ، والأعمال

التي نحن فيها إنما هي أجزية على أعمال سلفت منا في الأدوار الماضية ، والراحة والسرور والفرح والدعة التي نجدها هي مرتبة على أعمال البر التي سلفت منا والغم ، والحزن ، والضنك والكلفة التي نجدها هي مرتبة على أعمال الفجور التي سبقت منا ، وكذا كان في الأول ، وكذا يكون في الآخر ، والانصرام من كل وجه غير متصور من الحكيم . وأما الحلول فهو التشخص الذي ذكرناه ، وربما يكون ذلك بحلول ذاته ، وربما يكون بحلول جزؤ من ذاته على قدر استعداد مزاج الشخص ، وربما قالوا إنما تشخص بالهياكل السماوية بكلها ، وهو واحد ، وإنما يظهر فعله في واحد واحد بقدر آثاره فيه ، وتشخصه به ، فكأن الهياكل السبعة أعضاؤه السبعة ، وكان أعضاؤنا السبعة هياكله السبعة ، فيها يظهر فينطق بلساننا ، ويبصر بأعيننا ، ويسمع بآذاننا ، ويقبض ويبسط بأيدينا ، ويجيء ويذهب بأرجلنا ، ويفعل بجوارحنا . وزعموا ان الله تعالى أجل من أن يخلق الشرور والقبائح والأقذار والخنافس والحيات والعقارب ، بل هي كلها واقعة ضرورة اتصالات الكواكب سعادة ونحوسة ، واجتماعات العناصر صفوة وكدورة ، فما كان من سعد وخير وصفوة ، فهو المقصود من الفطرة فينسب إلى الباري تعالى ، وما كان من نحوسة وشر وكدر فهو الواقع ضرورة فلا ينسب اليه بل هي اما اتفاقيات وضروريات ، واما مستندة الى أصل الشرور والاتصال المذموم ، والحرنانية ينسبون مقالتهم الى عاذيمون وهرمس وأعيانا وأواذي : أربعة من الأنبياء ، ومنهم من ينسب الى سولون جد افلاطون لأمه ، ويزعم انه كان نبيـــاً ، وزعموا ان اواذي حرم عليهم البصل والحريث والباقلي ، والصابيون كلهم يصلون ثلث صلوات ويغتسلون من الجنابة ، ومن مس الميت ، وحرموا اكل الخنزير ، والجزور والكلب ،

ومن الطير كل ما له مخلب ، والحمام ، ونهوا عن السكر في الشراب ، وعن الاختتان ، وأمروا بالتزويج بولي وشهود ، ولا يجوزون الطلاق إلا بحكم الحاكم ، ولا يجمعون بين امرأتين ، وأما الهياكل التي بناها الصابية على أسماء الجواهر العقلية الروحانية ، وأشكال الكواكب السماوية ، فمنها هيكل العلة الأولى ، ودونها هيكل العقل ، وهيكل السياسة ، وهيكل الضرورة ، وهيكل النفس مدوّرات الشكل ، وهيكل زحل مسدس ، وهيكل المشتري مثلث ، وهيكل المريخ مربع مستطيل ، وهيكل الشمس مربع ، وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع ، وهيكل عطارد مثلث في جوفه مربع مستطيل ، وهيكل القمر مثمن » اه (١) .

صابئة البطائح

يعيش بين ظهرانينا في العراق قسم من الناس لهم تقاليدهم ، ولهم عاداتهم ولغتهم ويكادون أن يكونوا ممتازين بكل مظاهر حياتهم ، وحتى بأشكالهم وسحنة وجوههم ويطلق عليهم اسم الصابئة .

وقد يكون هؤلاء هم الصابئة الأصليون وقد لا يكونون ، إلا أن الشيء المحقق عندنا هو أن قسما كبيراً من عبادة الصابئة القديمة ، وطقوس دينهم ، يبارزة بين معتقدات هؤلاء القوم وبين طقوسهم الدينية ، كاحترام النجوم ، واستقبال نجم القطب ، وتكريم الكواكب السيارة ، وغير ذلك من أصول الدين الصابئي مما يتدين به هذا المجموع الممتاز .

وقد يتعرّف الباحث من اللغة التي يتكلم بها هؤلاء (٢) ومن إسبالهم

---

(١) الشهرستاني « الملل والنحل » ص٢٤٨ — ٢٥١ ج٢ من طبعة لندن ١٨٤٢ .

(٢) يتكلم الصابئون الحاليون اللغة المندائية ، وهي لغة سامية قريبة من السريانية ولكن

شعور رؤوسهم ولحاهم ، أنهم شعب غريب نزح إلى هذه البلاد واستوطنها واحتفظ بما له من عادات وتقاليد ، والتزم بالسكن على ضفاف الأنهر ، وبقرب المياه الجارية ، نظراً لما يقيمه من الطقوس الدينيـــة التي لا تتم إلا بالارتماس في الماء الجاري ، لهذا عرف هذا القسم من الناس بصابئة البطائح نسبة الى بطائح العراق المشهورة (١) .

أما ان هذا الشعب قد انحدر من الصابئة الذين ذكرهم الفرقان المبين ، أو انه من بقايا الحرّانيين الذين انتحلوا ديانة الصابئة في أيام المأمون العباسي في عام ٢١٨هـ(٨٣٣م) ليتحاموا على تعقيباته الدينية ، فأمر مشكوك فيه ، وموكول إلى فحص التاريخ الدقيق .

ـ حروفها غير الحروف السريانية وصرفها ونحوها مستقلان وكانت مشهورة في قديم الزمان، ولا يوجد بين أفراد الصابئة من يتقن كتابـــة هذه اللغة إلا نفر صغـــير لان رجال دينهم يحرصون على عدم إيقاف أبناء الطائفة على أسرار الديانة لئلا يفلت الامر من أيديهم . أما لغة المعاملات والمخاطبة مع الناس فهي لغة العراق الرسمية ، اللغة العربية .

(١) البطائح ـ مفردها البطيحة ـ مجتمع سيب المياه . يقال تبطحت المياه إذا سالت واتسعت في الارض ، وفي جنوبي العراق بطائح كثيرة يرجع سبب وجودها إلى ان دجلة انبثقت في ايام قباذ بن فيروز بثقاً عظيماً بالقرب من كسكر فأغفل امرها حتى غلب ماؤها وغرقت القرى العامرة التي كانت بقربه وبجواره فتكونت بطائح من « واسط » إلى ظهر « البصرة » ولما كانت ايام انوشروان العادل زحم الماء بالمسنبات فعادت تلك الارضون إلى حالها القديم ، فلما كانت ايام ابنه ابرويز ارتفع الماء عام ٧ للهجرة في دجلة والفرات ارتفاعاً عظيماً ، وانبثقت بثوق كبيرة جديدة لم تقو جهود الملك على درء خطرها ، ولما جاء المسلمون انشغلوا بالحروب وكانت البثوق تتفجر ولم يلتفت اليها حتى إذا كانت « ايام الحجاج » كبرت البطائح واستفحل امرها ففوض امر سدها الى مسلمة بن عبد الملك بعد ان اقطعه اياها ولكن امرها بقي مستفحلا إلى هذا الزمن فإذا ارتفع الماء في دجلة والفرات عادت البطائح الى ما كانت عليه في ايام الفرس وفي صدر الإسلام .

قال « المسعودي » المؤرخ المشهور المتوفى عام ٣٤٥هـ (٩٥٦م) في أثناء بحثه عن ملوك الفرس ومجمل أخبارهم وسيرهم ما نصه :

« ثم ملك بعده طهمورث بن نوبجهان بن ارفخشد بن اوشهنج ، وكان ينزل سابور؛ وظهر في سنة من ملكه رجل يقال له بوداسف أحدث مذهب الصابية وقيل فيهم « إن معالي الشرف الكامل والصلاح الشامل ومعدن الحياة في هذا السقف المرفوع ، وان الكواكب هي المدبرات والواردات والصادرات وهي التي في بروزها من أفلاكها ، وقطعها مسافاتها ، واتصالها بنقطة واتصالها على نقطة ، سبب ما يكون في العالم من الآثار ، من امتداد الأعمار وقصرها وتركيب البسائط وانبساط المركبات ، وتتميم الصور وظهور المياه، وغيضها ، وفي النجوم السيارة وفي افلاكها التدبير الأعظم ، وغير ذلك مما يخرج وصفه عن حد الاختصار والايجاز ، فاجتذب جماعة من ذوي الضعف في الآراء فيقال إن هذا الرجل أول من اظهر مذهب الصابية من الحرانيين والكيرانيين .وهذا النوع من الصابية مباينون للحرانيين في نحلتهم وديارهم بين بلاد واسط والبصرة من ارض العراق نحو البطاح والآجام فكان ملك طهمورث إلى ان هلك ثلاثين سنة وقيل غير ذلك » (١) .

وقال (ابن القفطي) المتوفى عام ٦٤٦هـ (١٢٤٨م) .

(فإن ابا حنيفة وصاحبيه : أبا يوسف ومحمد، اختلفوا في نكاح الصابئة واكل ذبائحهم ، فحرّمها (فحرمها) أبو حنيفة ، وأحلهما صاحباه . فقال المحاسبي : انه ليس بخلاف على الحقيقة وإنما هو خلاف في الفتوى ، لأن أبا حنيفة سئل عن الصابئين الحرانيين، وهم معروفون بعبادة الكواكب. فأجراهم

(١) المسعودي في (مروج الذهب) ٢/١١١ – ١١٢ باريس ١٨٦٣م .

مجرى عبدة الأوثان في تحريم المناكحة والذباحة ، وصاحباه سئلا عن الصابئين السكان بالبطيحة ، وهم فرقة من النصارى يؤمنون بالمسيح (ع) ، فأجابا بجواز ذبائحهم ومناكحتهم . ولو سئل ابو حنيفة عن هؤلاء لأفتى بفتوى صاحبيه ، ولو سئل صاحباه عن الفرقة التي عنا لأفتيا بمثل قوله » (١) .

وقال ابن الفوطي المتوفى سنه ٧٢٣هـ (١٣٢٣م) ان مدرس الشافعية بالمدرسة المستنصرية أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان المتوفى سنة ٦٣١هـ كتب إلى الناصر لدين الله العباسي يقول :

« الصابئة قوم من عبدة الكواكب يسكنون في البلاد الواسطية لا ذمّة لهم ، وكان في قديم الزمان لهم ذمة فاستفتى القاهر بالله ابا سعيد الاصطخري ، من اصحاب الشافعي ، في حقهم فأفتاه بإراقة دمائهم وأن لا تقبل منهم الجزية . فلما سمعوا بذلوا له خمسين الف دينار فأمسك عنهم ، وهم اليوم لا جزية عليهم ، ولا يؤخذ منهم شيء وهم في حكم المسلمين » (٢) .

فالذي يظهر من قولي (المسعودي) و (ابن القفطي) انه لا علاقة بين (صابئة البطائح) في العراق ، وبين (صابئة حران) على الرغم من اشتراك القومين في الاسم ، وعلينا الآن ان نبحث عن منشأ الصابئة المنتشرين في السواحل الايرانية وفي جنوب العراق :

قال تيودور برقوني ، الذي عاش في الجيل السابع للميلاد ، عندظهور الاسلام في كتابه (الاسكوليون) وهو تفسير للكتاب المقدس : طبعه السيد أدي شير بلغته الآرامية في مجلدين في باريس (١٩٠٨ - ١٩١٢) ما تعريبه:

---

(١) كتاب « تاريخ الحكماء » لجمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف المعروف بابن القفطي (لايبسك ١٣٢٠) ص٣١١ .

(٢) كتاب « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة » ص٦٩ بغداد ١٣٥١

(يروى ان رجلا يدعى آدو ضعن وعائلته من حدياب إلى ميسان التسول . وكان ابوه يسمى دبدا ، وامه ام كشطا ... وعند وصولهم الى نهر كارون صادفوا رجلا يدعى بابا بن تينيس فطلبوا منه صدقة ، على جاري عادتهم ، وأقنعوه بإبقاء آدو في خدمته ، وكان آدو - هذا - مريضاً كسولا لا يستطيع التسول ، فأرسله بابا إلى حراس بساتين النخيل لتشغيله ، ولكن هؤلاء رفضوا قبوله لعدم صلاحه للعمل ، فاضطر أن يبني له كوخاً على قارعة الطريق ليستدر أكف المحسنين من المستطرقين ، فانضم اليه أصحاب كثيرون ، وصاروا يدقون الأجراس على عادة المتسولين ، ويدعى هؤلاء في منطقة ميسان المندائية ، وهم شيعة من تلك التي أتت أعمالا صالحة في منطقة بيت أرامايي ويسمون الناصريين أو أتباع الدستانية . إلا أن أحسن اسم يطبق عليهم الآدونيين الذين أخذوا تعاليمهم الدينية عن المرقيونيين ، والماتويين ، والكنتيين ، وغيرهامن الفرق الصابئية) ثم توسعت هذه الطائفة على مر السنين وسموا بالصابئة ، أي المغتسلة ، لأن جميع طقوسهم الدينية لا تتم إلا بالاغتسال في الماء الجاري (١) .

وكتب الينا المستشرق الألماني المعروف (الدكتور هـ . ريتر) رسالة خاصة في ٢١ كانون الأول ١٩٣١م جاء فيها :

(أما الصابئة فالمشهور عندنا أن لا مناسبة أصلا بين صابئة العراق وصابئة حران على رغم اشتراك الطائفتين بالإسم . ومعلوم ان هذا الاسم اتخذوه أصحاب الأديان الغير ذمية من القرآن ليتحاموا به عن التعقيبات الدينية . فصابئة دجلة هم طائفة من اليهود تبرأوا من اليهودية وتبعوا يوحنا المعمدان

---

1 - H. Pognon *Inscription Mandaites des coupes de Khoubeir p. 224 «Paris 1898»*

ثم لما رأوا أن أتباع عيسى غلبوا على أتباع المعمدان ، هاجروا من الأردن إلى نهر آخر يجري من الشمال إلى الجنوب وهو دجلة . ودين الحرانيين هو من بقايا دور اختلاط الأديان الذي كان يغلب على الممالك الرومانية قبل الميلاد وبعده حتى غلبت عليها النصرانية . ويوجد بعض اخبارهم في رسائل اخوان الصفا وفي غاية الحكيم المنسوب إلى ابي سلمة المجريطي ، وخاصة في كتاب السر المكتوم وفي مخاطبة النجوم للفخر الرازي الذي لم يطبع الى الآن)اهـ(١)

أما رواية (الصابئة المندائية) عن كيفية انتقالهم من الأردن إلى العراق فتتلخص في هذه الاقصوصة :

(بعد أن خرج يحيى من الأرض خلّف لهم ثلاث مئة وستة وستين تلميذاً بين أساقف و كهنة ، ولبثت شيعته كلها مقيمة ببيت المقدس ، وابتنوا لهم كنيسة بجانب هيكل اليهود . وكان لألعازار زعيم اليهود ، بنت يقال لها ماريا وكانت شديدة الورع فكانت تختلف كل يوم إلى الهيكل ، فاتفق يوماً انها سهت عن باب الهيكل فدخلت الكنيسة ، وكان الصابئة يقيمون صلاتهم فلم تشعر الا وهي في وسط الكنيسة فلبثت في مكانها حتى فرغوا من الصلاة فأعجبها ما رأت عندهم ؛ ومالت الى الدخول في مذهبهم . ومنذ ذلك اليوم جعلت تتردد على نساء أساقفتهم و كهنتهم تتلقن عقائدهم حتى أشرِبَت دينهم وواظبت على حضور صلواتهم كل يوم أحد ، ونزعت ملابسها وحليها ولبست البياض ؛ على ما هي سنة المتقين منهم ، فأنكرت ذلك امها عليها ، فاعلمتها انها قد اتبعت دين الصابئة ، فنهتها فلم تنته ، فأعلمت أباها بالأمر ، فزجرها وتهددها فلم يغن ، وآخر الأمر ذهب العازار فجمع رؤساء اليهود

(١) لدينا نسخة من كتاب «السر المكتوم في اسرار النجوم» مطبوعة في القاهرة عام ١٣٠٥هـ.

وتآمروا على قطع دابر الصابئة ، ثم أغروا العامة بذلك فوثبوا عليهم وقتلوهم ولم ينج منهم إلا نفر قليل تمكنوا من الفرار ، حينئذ هبط أنوش اثرا بشكل بازٍ وضرب اليهود بجناحيه فألقاهم في النهر . ثم ضرب الماء فهاج وأزبد وغمرتهم أمواجه فهلكوا عن آخرهم . وبعد ذلك جمع بقايا الصابئة ودمر بيت المقدس ثم أخرجهم إلى بلد آخر فأسكنهم فيه ، واختار من بينهم رجلين أخوين يقال لأكبرهما فروخ ملكا ، وللآخر أوردون ملكافقلدهما رئاستهم وولاهما الدفاع عنهم . ثم انقلب عائداً إلى عالم الأنوار . وبعد أن أتى على ذلك ما شاء الله ، تكاثر عدد الصابئة واليهود جداً . وفي ذلك الزمن ظهر موسى ، نبي اليهود ، فعزم على أن ينتقم لمن هلك منهم على يد آنوش أثرا ، وكان في نفس فروخ ملكا مثل ذلك من طلب ثأر الصابئة الذين قتلهم العازار لكن جاءته رسالة من أواثار ينهاه عن قتال موسى ، ويأمره أن يهاجر إلى بلد آخر يقيم فيه بجماعته فأعرض عن طاعته ، وأصر على طلب الحرب . ولما تصاف الجيشان ، خرج موسى وفروخ ملكا فتبارزا وطال بينهما الكر والفر وأخيراً أسفر الأمر عن هزيمة موسى ، وكان البحر قريباً منهم فاقتحمه موسى فانشق أمامه ، فعبر إلى وسط البحر ووقف هناك حتى عبر جيشه كله ، وعبر هو آخرهم ، وتبعهم فروخ ملكا بجماعته فأطبق البحر عليهم فهلكوا بأجمعهم ، ولم ينج الا فروخ ملكا وأخوه وثلاثون نفساً من الصابئة من رجال ونساء كانوا قد أدركوا البر في وقت خروج موسى فانثنى موسى اليهم ليأتي عليهم فانهزموا من وجهه ، وما زالوا في هزيمتهم تلك حتى لحقوا بششتر من أرض فارس) (١) .

---

(١) مجلة البيان « القاهرة ١٨٩٧ » ص٢٩٢ – ٢٩٣ .

هذه هي نهاية المعلومات التي جمعناها عن (الصابئة قديماً وحديثاً)وعن فرقهم ومنشأ ديانتهم من وجهة تاريخية بحتة ، أما ما سندخل فيه بعد قليل ، فهو البحث في عقائدهم وطقوسهم الدينية .

وربما كان في دراسة العقائد والطقوس - على ما هي عليـــه من التقطع والخبط والخلط - كثير من الفوائد التاريخية ، وما بأيدينامن المعتقدات إنما هو مجموع ما يتدين به صابئة البطائح اليوم ، وقد علمنا أن في طقوس هؤلاء وآدابهم الدينية جملة من شعائر الصابئة الأقدمـــين ، ومع ذلك فسنضطر في بحثنا هذا إلى ذكر بعض ما توصلنا اليه من عقائد (الصابئة الحرانية) التي نرى أن هناك فروقاً جوهرية تستدعي إفرادها بالذكر ، وتعيينها من بـــين مواضيع البحث .

أما مصادر ما سنذكره فتنحصر في التحريات الشخصية ،والمشاهدات العينية ، والنقل عما دبجته أقلام بعض الكتاب والمؤرخين والمؤلفين ، وكله مما تطمئن اليه النفوس اطمئناناً دون ان نعض عليه بضرس اليقين القاطع ، لما بين تلك المباحث والآراء من التباين الظاهر ، وكفى أن يكون ما نكتبه في الموضوع خدمة تاريخية بذلنافيها الجهد، وأفرغنافيها الوسع ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

معتقدات الصابئة المندائية

الخالق جل شأنه

تعتقد الصابئة « المندائية » ان الخالق واحد أزلي أبدي، لاأول لوجوده ولا نهاية له ، منزّه عن عالم المادة والطبيعة ، لا تناله الحواس، ولا يفضي اليه مخلوق ، وانه لم يلد ولم يولد ، وهو علة وجود الأشياء ومكونها .

ولا يختلف اعتقادهم في الخالق هذا عن اعتقاد المسلمين فيه .

ويلي الإله في المنزلة (٣٦٠) شخصاً (١) خلقوا ليفعلوا أفعال الإله إلا أنهم ليسوا بآلهة ، ولا هم في عداد القديسين ، لأنهم لم يكونوا بشراً مثلهم، ولا يعدون من الملائكة وإن كانوا صنفاً منهم ، لأن بعض هؤلاء يمارس أعمال الخلق كـ « ماري ادربوثا » و « هيبل زيوا » وهم يعلمون كل شيء ، ويعرفون الغيب ، ولكل منهم مملكة في عالم الأنوار « آلمي دنهورا » أما أصل وجودهم فإنهم ليسوا بمخلوقين ـ كبقية الكائنات الحية ـ ولكن الله ناداهم بأسمائهم فخلقوا ، وتزوجوا بنساء من صنفهم ، وأصبح لهم أولاد وبنات، ولكن نسلهم هذا ليس ثمرة زواجهم ، لأن الواحد منهم كان يلفظ كلمة فتحمل امرأته فوراً وتضع واحداً منهم .

إن هؤلاء الـ ٣٦٠ شخصاً يعبدون الإله ويوحدونه ، وجميعهم تحت إمرة (ماري أدربوثا) الذي هو اول زعمائهم وأعلاهم مقاماً (٢) ويليه (شيشلام

---

(١) يرى الكنزبرا الشيخ دخيل الشيخ عبدان الصابيء ان عدد الذين يلون الإله في المنزلة لا يعد ولا يحصى وانه ليس بـ (٣٦٠) شخصاً كما يقول زملاؤه .

(٢) ترى الصابئة ان المخلوق الاعظم « ماري ادربوثا » اراد ان يرسل هدية ذات يوم الى الوثار وفتاحيل فندب « شيشلام ربا » للقيام بهذه المهمة ولكن الشخص المنتدب رفض

ربًّا) و (منادهي) و (هيبل زيوا) و (سام زيوا) و (هومشبّه) صاحب يوم الأحد و (سيات هيي) و (ماهزيل مالالا) والأخـــيران من النساء ، وثانيهما اسم الشجرة التي ترضع الأطفال في عالم الفردوس (آلمي دنهورا) ومنهم أيضاً (اوثار راما)و(ابتاهيل زهريل) و(يحيي يوحنا) و (بهرام ربا)

وهم يعتقدون بالأرواح الخبيثة ويسمونها (مولوخون) ويقولون انها مختلفة الأديان ، فمنها صابئة ، ومنها يهود ونصارى ومسلمون ، ومن هذه الأرواح ما هو موكل بعذاب النفوس في (المطراثي) ومنها ما هو مغرى بتجربه البشر واستدراجهم إلى المعصية ، ومنها ما دأبه إلحاق الأذى بالناس فهم بمنزلة الجن عند غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى .

بدء الخليقة

كان المخلوق الأول لله شخصاً روحانياً يدعى « هيي قدمايي » أي الحي القديم ، او الحياة الاولى ، وقد خلقه الله وخلق معه عوالم كثـــيرة مملوءة بالنفوس المقدسة التي لا تحصى . ثم خلق الحي الثاني « هيي ثنيائي » أي المخلوق الثاني ، او الحياة الثانية ، وخلق معه كذلك عوالم لا تعـــد مملوءة بالنفوس المقدسة أيضاً . ثم خلق « هيي إيثليثائي» أي المخلوق الثالث ، او الحياة الثالثة ، وخلق معه ما خلق مع سابقيه ، وهذه النفوس التي تقطن هذه العوالم ينقسمون

ـ القيام بهذه المهمة فغضب « ماري ادربوثا » عليه وعاقبه بأن ايبس كل ما في مملكته من شجر وبقل ، وغيض ما فيها من مياه ، واهلك جميع افراد اسرته . فتوجه « شيشلام ربا » الى الملأ الاعلى من رصفائه ليشفعوا له عند « ماري ادربوثا » ليصفح عنه فلما كلمه هؤلاء في موضوعه قص عليهم ما كان من امر المعصية فأخذوا يسكنون من غيظه حتى اذن لهم ان يمثل بين يديه فلما ادخل عليه ، خر على قدميه فعفا عنه . اي انه احيى زوجته وبنيه واعاد نباته الى خضرته ، والماء الى مملكته .

بين قسمين حسب رتبهم : عوام وملوك ، ويسمى القسم الأول « أثري » والثاني (ملكي) ثم خلقت سبعة عوالم تـــدعى (آلمي دهشوخا) أي عوالم الظلام التي تستمد نورها من الشمس ، وسكانها الآن ينقسمون بين قسمين أيضاً عوام (أثري) وملوك (ملكي) وأرضنا من جملة هذه العوالم السبعة .

أما هيئة الأرض فهي عندهم مدوّرة ، ثابتة غير متحركة ، ولكن لها حركة خاصة ، وهي مقامة على هواءين : هواءخارجي وآخر داخلي ، وتحت الأرض ماء انبسطت عليه . فلما تم خلق الأرض أنزلت الملائكة من عالم الانوار (آلمي دنهورا) بذوراً للأشجار ، وفتحت طريقاً للهواء ولماء الحياة التي تقوم عليه حياة الاجسام النامية والحية ، وهو واسطة ارتبـــاط العوالم بعضها ببعض ، وفتحت طريقاً آخر للنور تستمد منه الشمس أشعتها لتنير بقية الكواكب بالواسطة .

وتتكون السماء من سبع طبقات ، تقع الشمس في الطبقة الرابعة ، والقمر في السابعة ، والارض والسماء مركبتان من مادتين : هما الماء والنار ، ومن هاتين المادتين تكونت الارض والسماء ، وكذلك جميع المخلوقات الحية فإنها مركبة من طبقتين : هما الماء والنار ولكنها تمتاز بأربع طبائع أخرى وهي الصفراء والسوداء والبلغم والرطوبة .

خلقة آدم

(كفره قدمايا) اسم لآدم عليه السلام ، أي أول الرجال ، او آدم بغره أي آدم المادي ، وقد أراد الله ان يخلق آدم على صورته فأنزل (إبتاهيل) وهو ابن (هيبل زيوا) أي جبرائيل إلى الارض فخلقه تشبيهاً على صورته من التراب ، وخلق من ضلعه الايسر زوجته حواء ، ثم أنزل الروح القدس في

جسمي آدم وحواء ، وعلم الملائكةُ آدم كل ما في الدنيا من صنائع وحرف ومهن واجراء المياه ، ووضع عدد السنين والاشهر والايام والاوقات وغير ذلك، وانزلت عليه الكتب المقدسة التي فيها فروض العبادة بأنواعها المختلفة ، ثم امر الله ملائكة النار بالسجود لآدم فسجدوا إلا هادبيشة (وهو ابليس) فإنه لم يسجد إذ قال : « خلقني الله من نار ، وخلق آدم من تراب ، فكيف أسجدله؟ » فلعنه الله وطرده من الجنة ثم جرى التناسل بين آدم وولده على ما هو مسطور في موضع آخر .

الكون في نظر الصابئة

لنشوء فكرة السر والعلن عند الصابئة اثر كبير في كثير من المعتقدات ، فهم يرون أن لكل كائن وجودين: علني وسري ، وللكون أيضاً وجودان: كون سري يسمونه « مشوني كشطة » وكون علني يسمونه « أره تيبل » أي الارض التي تبلى ، ويرون دائماً أن للوجود السري امتيازاً على الوجود العلني فالعالم السري قطر فسيح أكبر من العالم العلني ، الذي هو عالمنا المسكون ، وهو مستور عنا لا يمكننا ان نشاهده حال حياتنا ، وله شرف المنزلة بالقياس إلى عالمنا ، فهو منه بمنزلة اليمين من الشمال . وهذا الاعتبار ، أي من اليمين إلى الشمال ، يشاهد في كثير من تعابيرهم التي يقسمون بها الاشياء والموجودات

أما سكان هذا العالم فهم بشر مثلنا ، إلا انهم صابئة منزّهون عن كل وصمة ، ولا يخلو هذا العالم من الموت والفناء ايضاً ، فالبشر الذي فيه يموت كما نموت نحن ، إلا انه ينتقل الى عالم آخر يسمونه « آلمي دنهورا » اي عالم الأنوار او دار السعادة او المقام النعيم ، من غير أن يمر بموضع من مواضع العذاب ، وهذا ما يقابل عالم الارواح عند المسلمين ، اما العالم الثاني « أره

تشيل » فهو عالم الكون المادي المشاهد ، الذي يطرأ عليه الفناء ، وينتقل من فيه الى عالم الأنوار بحسب درجته .

ولما كان الوجود السري مثلا للوجود العلني ، كان في العالم السري آدم مخصوص يدعى «كاسيا » أي آدم المستور ، وتدعى زوجته «كانات» اي تامة الجمال . كما أن لعالمنا هذا آدم يدعى «آدم پغره» اي آدم المادي ، وتسمى زوجته حواء

ولكي يتخلص الصابئة من قضية الزواج بين الأخوة في بدء الخليقة ، اضطروا الى القول بأن لكل من هذين الآدمين ابنة وولد ، فجمع بينهما « هيل زيوا » وهو جبرائيل ، في العالم المنظور ، وزوّج كلا من الولدين بأخت الآخر ، ليتم التناسل البشري على طريقة مشروعة ، والصابئة تدعي - وفقاً لهذه الأسطورة - انهم من أولاد آدم غير المنظور ، وابنة آدم المنظور .

حديث الطوفان

ان حديث الطوفان عند الصابئة قريب كل القرب مما يروى في التوراة حتى في اطلاق الغراب والحمامة ، الا انهم يقولون ان الحيوانات التي اصطحبها نوح في الفلك الذي بناه كانت كلها اثنين اثنين ذكر وأنثى ، من كل نوع ، وان الذين كانوا معه في هذا الفلك من البشر ثلاثة فقط وهم : نوح وامرأته وابنه سام . اذ لم يكن له قبل الطوفان ولد آخر . وان نوحاً عليه السلام لما انحسر الماء نزل إلى اليابسة وحده يتمشى ، فإذا بامرأة من الجن تراءت له بشكل امرأته ، وأخذت تتمشى بجانبه ، فأنكر نوح خروجها من السفينة دون اذن منه ، فقالت له انها سئمت المقام في الفلك ولما رأته خارجاً الى اليابسة ، خرجت مثله . ثم أنكر عليها اكتحالها وإرسالها شعرها ، فردت عليه « ان لنا زماناً ونحن محبوسون في هذا الفلك وحدنا فلم أبال بضفر شعري

وأما اكتحالي فلست أظن ان سكان عالم الأنوار ـ بعـد هذا الامتحـان الطويل ـ يناقشوننا في مثل هذا الأمر الطفيف » ثم دنت منه وأخذت تغازله حتى استدرجته الى المعصية ، ظناً منه انها زوجته ، فوافاه صوت من «اواثار» يؤنبه على ما فعل ، فعاد الى الفلك فوراً واخرج كل من كان فيـه . وحملت الإمرأة التي خدعته ، ووضعت له ثلاثة بنين وهم : حام ويافث ويامين ، وكان كل منهم يتكلم بلغة تخالف لغـة الآخر ، ومن هؤلاء الثلاثـة جاء السودانيين ، والفرنجة ، والترك . ولهذا فإن الصابئة لا يذكرون نوحـاً ، ولا أحداً من أبنائه (حام ويافث ويامين) فيمن يستغيثون به من آبـائهم الأولين لان (اواثار) كان قد عاقب نوحاً على ان يبقى مرتهناً «بالمطراثي» الى ان ينقضي العالم ، ولأن أولاده الثلاثة المذكورين إنما كانوا أبناء غيّـه ، ولكنهم كانوا يقرون بولده سام الذي كان معه في الفلك ويكرمونه أحسن تكريم(١)

---

(١) هذا ما جاء في الاصحاحين السابع والثامن من سفر التكوين من التوراة عن الطوفان: « وقال الرب لنوح ادخل انت وجميع بيتك الى الفلك لاني إياك رأيت باراً لدي في هذا الجيل . من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وانثى ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وانثى ، ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وانثى لاستبقاء نسل على وجه كل الارض لاني بعد سبعة ايام ايضاً امطر على الارض اربعين يوماً واربعين ليلة وأمحو عن وجه الارض كل قائم عملته . ففعل نوح حسب كل ما امره به الرب .. وحدث بعد السبعة الايام ان مياه الطوفان صارت على الارض ... في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم الى الفلك . هم وكل الوحوش ... وكان الطوفان اربعين يوماً على الارض وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الارض ... فمات كل ذي جسد كان يدب على الارض ... (و) جفت الارض . وكلم الله نوحاً قائلا اخرج من الفلك انت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك وكل الحيوانات ... اخرجها معك ولتتوالد في الارض وتثمر وتكثر على الارض » انتهى المقصود .

عمر الدنيا

هذا بحث عن (عمر الدنيا) وما مضى عليها من آزمات ، وهو ما أخبر به الإله جل شأنه آدم عليه السلام ، ونقله هذا إلى تلامذته ، عرّبه العالم الصابئي الشهير الشيخ دخيّل بن الشيخ عيدان عن كتابهم الرئيس (الكنزاربا) فنشرناه بحروفه حرصاً على ما فيه من معلومات طريفة :

« بعث الله آدم وزوجته حواء فتناسلا وكثر نسلهما في العالم ، ثم انقطع النسل بسبب الحروب والوفاة ، ولم ينج من الهلاك إلا رجل واحد يدعى « رام » وتدعى زوجته « رود » وكان ذلك بعد مرور :

٢١٦٠٠٠ مائتين وست عشرة الف سنة منذ ظهور آدم إلى عالم الدنيا حتى زمن « رام » وزوجته « رود » ومن رام وزوجته هذه انتشر خلق كثير ، غير أن النار التي شبت في أقطار العالم بعدئذ أدت إلى حرق الكثير من البشر ولكن رجلا واحداً يدعى (شربا) وزوجته المسماة (شرهبيل) نجيا من الموت .

١٥٠٠٠٠ وامتد التناسل بين أولاد رام مئة وخمسين ألف سنة اخرى.

١٠٠٠٠٠ وعاش أبناء (شربا) و (شرهبيل) في الدنيا مع أولادهم مئة الف سنة

٤٦٦٠٠٠ ولما جاء الطوفان كان عمر الدنيا منذ الخليقة قد بلغ أربعمئة وست وستين ألف سنة . فبنى نوح الفلك: نجا من الغرق ، هو وزوجته وولده سام ، وبقيت الدنيا في منجى من الاضمحلال طوال هذه المدة ولنذكر الملوك الذين ملكوا الدنيا بعد الطوفان بالتسلسل :

٩٠٠ فأول ملك ظهر بعد الطوفان كان (أردوان كريموط ملكا) فحكم تسع مئة سنة .

٦٠٠ وملك بعده « زرونيطا لرهموط » فدام ملكه ست مئة سنة
٥٥٠ ثم جاء بعده الملك «ليفوروش زهناك » فملك خمس مئة وخمسين سنة
١٠٠ وانحلت الأمور مئة سنة اخرى فلم يحكم خلالها حاكم ما
٣٠٠ ثم قام الملك « أزداك بن أسباك بهران » فحكم ثلاث مئة سنة
٤٥٠ وجاء بعده « فريدون بن تبيان » فملك أربع مئة وخمسين سنة
٥٠٠ ثم صار الحكم إلى «بشم يريمان » من اسرة « كركوم» فحكم خمس مئة سنة. وهذه الحكومات التي قامت بعد الطوفان إلى نهاية أيام «بشم يريمان » تسمى حكومات الفراعنة من المصريين الأقباط فيكون مجموع مدة حكم الفراعنة ثلاثة آلاف وأربع مئة سنة وبذلك يصبح
٤٦٩٤٠٠ مجموع عمر الدنيا منذ الخليقة الى تاريخ انقراض الفراعنة أربع مئة وتسع وستين ألف وأربع مئة سنة
٦٠ وانتقل الحكم من الفراعنة الى الفرس فملك « طروق » ستين عاماً
٥٠٣ وملك بعده « قيقاس » خمس مئة وثلاث سنوات
٦٠ ثم جاء « كيكسر بن سيوخان » فملك ستين سنة
٣٠٠ ثم حكم « ايكاب بن برزيم » فكانت مدة حكمه ثلاث مئة سنة
٣٦٥ وقام بعده « أرهسف » فحكم ثلاث مئة وخمس وستين سنة
١٤ ثم انتقل الملك الى ولده « كشطاسف » فكانت مدة حكمه اربع عشرة سنة
١١٢ وقام « أزدشير بن اسفنديار » بعده فملك مئة واثنتا عشرة سنة
٨٠ ثم جاء نوربطاش بن هورزدان فحكم ثمانين عاماً
٤٧٠ ثم حكم «اشقان» فكانت مدة حكمه اربع مئة وسبعين سنة

فيكون مجموع مدة حكم الفرس الاولى ألف وتسع مئة وأربعة وستون عاماً

ويكون مجموع عمر الدنيا الى اواخر أيام حكم الفرس الاولى اربع مئة وإحدى وسبعين ألف وثلاث مئة وأربع وستون سنة

وبعد انقراض دولة الفرس الاولى حكم اليهود تسع مئة سنة

ثم قامت حكومة بابل وكان حكم أول ملوكها « أبروق سندر روهماني » اربع عشرة سنة

وحكم بعده « اشقان » اربع مئة سنة وخمس وستين

ثم حكم « ويسديس وطبيان » ثم أردوان أربع عشرة سنة

فتكون مدة حكم البابليين أربع مئة وثلاث وتسعون سنة

ويكون عمر الدنيا منذ بدء الخليقة الى نهاية حكم البابليين أربعمئة واثنين وسبعين الف وسبعمئة وسبع وخمسون عاماً

وتولى الفرس الحكم مرة ثانية فحكموا ثلاث مئة واثنتان وثمانين سنة

ثم ظهر الإسلام فحكم حتى الآن ألف وثلاث مئة وأربع وسبعين سنة

وبذلك يكون عمر الدنيا منذ بدء الخليقة حتى الآن ٤٧٤٥١٣ عاماً

وسيبقى العالم على شكله القائم ٢٦٥٥ عاماً حتى يظهر المسيح المرتقب وهو غير المسيح الأول الذي جاء الى الدنيا بمظهر جسماني فتتبدل العادات ، وتلغى السلاح ، وتمحى الديانات : اليهودية والنصرانية والإسلامية، ويكون العالم على دين واحد ، وتستمر الحالة على هذا المنوال ستين الف سنة ، ثم يرجع الامر إلى شريعة آدم السابقة ، ومنه إلى (هيبل زيوا) فيبقى تحت حكمه خمسين الف سنة ثم يصير إلى إمامات ويستمر مئة وسبعين سنة ثم تفنى الأرض

لتعود إلى عالم الأنوار . أي بقي من عمرها ١١٢٨٢٥ سنة .

فكرة الخير والشر

(فكرة الخير والشر) من الفكر التي بحث البشر فيها بحثاً مستفيضاً في الأزمنة القديمة والحديثة ، وما زالت الآثار المستخرجة من بطون الأرض ترينا تطور هذه الفكرة واختلاف نظر البشر اليها ، إلا أن هذه الاختلافات والتطورات تنحصر في وجهات ثلاث :

أحدها يقول إن الله تعالى مكوّن الخير والشر ، كما انه خالق لهما ، وما العبد إلا آلة تصرّفها الإرادة في الكلية ، لا حول له ولا قوة ولا اختيار .

(وإن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يقولوا هذِهِ مِن عِنْدِ الله وإن تُصِبهُمْ سَيِّئَةٌ يقولوا هذِهِ مِنْ عندِكَ قُلْ كُلٌّ مِن عندِ الله) (١) .

وهذا ما دعاه المسلمون بفكرة الجبر .

والثانية : ترى أن فاعل الخير والشر هو الإنسان ، وأن الله جل شأنه مكوّن الأشياء كلها ، والعبد يملك إرادة جزئية واختياراً مطلقاً .

(إنَّا هَدَيناه السَّبيلَ إما شاكِراً وإمَّا كَفورا) (٢) .

أما الثالثة : فتفصل وترى أن الخير من الله ، والشرّ من الإنسان ، وأن للإنسان عقلاً يميز بينهما فله أن يعمل الخير ، وله أن يرتكب الشر .

(ما أَصابَكَ مِن حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وما أَصابَكَ مِن سيّئةٍ فَمِن نَفسِكَ)(٣)

والصابئة ترى رأي الفريق الثاني ، أي أن الخير والشر موجودان من قبل الإنسان وحادثان بفعله ، وأن إرادته الجزئية واختياره المطلق هو الذي

---

(١) سورة النساء : الآية ٧٨ .

(٢) سورة الانسان : الآية ٣ .

(٣) سورة النساء : الآية ٧٩ .

يجعله مسؤولا أمام الله ، وهم يرون أن الله جل شأنـــه رسم للإنسان طريق الخير وطريق الشر فله الحرية المطلقة في اتيان ما يشاء ، وترك ما يشاء .

اعتقادهم في الجدي

ليس للصابئة المندائية اعتقاد خاص بالجدي ، غير أنهم يقولون إنـــه لما كانت وظائف النجوم السيارة السبع (١) حراسة الأقاليم السبعة ، وتنوير افكار الساكنين فيها ، ودفع النحس عنها ، وجلب الخير اليهـــا ، فان النجم الموكل على آسيا « موطن الصابئة » هو المريخ « ويسمونه تبرغ » أما الجدي فهو محل القياس لأنه ثابت في محله لا يتحرك ، ولأنه متوجه دائماً الى ملك الأنوار ، وبذلك يكون اتجاه الصابئة الى الله الواحد الأحد . وهم لايتممون سنة من سننهم ، ولا عملا دينياً من أعمالهم ، إلا ويتجهون الى هـــذا النجم . كذلك هم يدفنون موتاهم بحيث إذا بعثت الجثة تواجه هذا الإتجاه نفسه .

اعتقاد طريف

يعتقد الصابئة ان الروحاني الكبير (هيبل زيوا) كان قد ولّى الروحاني الكبير الآخر (فتاحيل) على (المطراثي) (٢) فرأى هذا المتولي أن أهـــل الأرض قد كثروا كثرة تلفت النظر ، فأنزل بهم الأوبئة لينقص من عددهم فتزداد عدد الوافدين الى « الجحيم » بطبيعة الحال . وكان «هيبل زيوا» قد سدّ المعبر الذي يفضي من هناك إلى عالم الأنوار «آلمي دنهورا» فتضايق «الجحيم»

---

(١) وهي : عطارد والزهرة وزحل والمريخ والسنبلة والعقرب والميزان .

(٢) يعتقد الصابئة ان بين الجنة والنار شيئاً ثالثاً يسمونه « المطراثي » أي « المطهر» وفي هذا المحل تعذب الارواح التي ارتكبت ذنوباً بسيطة ، ويكون عذابها لامد محدود ، ثم تنتقل الى مواضعها في عالم الانوار الذي يسمونه « آلمي دنهورا » بعد أن تكون قد نالت عقابها في « المطراثي » .

بالوافدين اليه وانطلق « فتاحيل » الى « هيبل زيوا » وسأله اطلاق الانفس التي استوفت عذابها ، للترفيه عن الجحيم المزدحم ، فأبى (هيبل زيوا) وقال: ما كنت لأدخل دار النعيم نفساً قد تدنَّست بالاثم .

و كان سكان عالم الأنوار يتوقعون أن تمتـــلىء دنيـــاهم بالخلائق من الصالحين التائبين ، ولما علموا أن (هيبل زيوا) يتشدَّد في تخليص المذنبين ، انطلقوا الى (ماري ادربوثا) وسألوه التسامح في امر اولئك الوافدين على الجحيم ، لأن التشدد سيحول دون خروج احد منهم ، فاستـــدعى (ماري ادربوثا) (هيبل زيوا) وفاوضه في هذا الموضوع ملياً ، ولمـــا رآه متشدداً طلب اليه ان يعود الى تدبير مملكته في عالم الأنوار ونصب (أواثار) والياً على (المطراثي) فاستطاع (اواثار) في مدة وجيزة ان يفتح منفذاً في المطراثي يسَّر خروج خلق كثير التحقوا بعالم الأنوار .

نبي الصابئة

يحيى بن زكريا عليه السلام

يعتقد الصابئون (المندائيون) أنهم (يتبعون تعاليم آدم ، ولديهم كتاب الكنزا - أي صحف آدم - غير أن تقادم العهد على الرسول الأول للـدين ، وتشوه بعض المذاهب الزائفة والأديان الوثنية ، كل هذه أدخلت تعـاليم غريبة في الدين ، فجاء يحيى ليخلص الدين من هذه المذاهب الدخيلة ، ولم يكن رسولا ، بل نبياً خاصاً بهم) (١) فمن هو يحيى يا ترى ؟

كان حمل زوجة زكريا ، ويقول أهل الكتاب أن اسمها (حنة) في الزمن التي كانت مريم حاملا فيه بعيسى ، وولد يحيى ، وليس لدينـا ولا لدى أهل الكتاب شأن عن طفولته غير أنهم يقولون إنه كان يأوي إلى البرية ، ويأكل جراداً وعسلا برياً .

وكان يحيى بارعاً في الشريعة الموسوية ، ومرجعاً مهماً لكل من يستفتي في أحكامها ، وكان أحد حكام فلسطين يقال له هيرودوس ، وكانت له بنت أخ يقال لها هيروديا ، بارعة الجمال ، أرادها عمها فوافقته هي وأمها ، غير أن يحيى لم يرض عن هذا الزواج لأنه محرّم ، وعرف عنه أنه معارض في ذلك ، فانتهزت الفتاة إخراج فتاتها إلى عمها في زينتها ، ورقصت أمامه فسرّ منها ، وطلب اليها أن تطلب ما تتمناه ليعمله لها ، فطلبت رأس يحيى وكانت امها لقنتها أن تقول كذلك ، فقتل عمها الحاكم يحيى بن زكريا ، فلما بلغ المسيح عيسى بن مريم أن

---

(١) الاستاذ عبد الجبار عبد الله « الصابئي » في هامش كتاب « العراق في القرن السابع عشر » ص١٠٣ (بغداد ١٩٤٤م) .

يحيى قد قتل ، جهر بدعوته ، وقام في الناس واعظاً (١) .

« واليهود يختلفون في مسألة التزوج ببنت الأخ وبنت الأخت فيجيزها القراؤون ، ويمنعها الربانيون ، وحجة الأولين أن بنت الأخت وبنت الأخ لم تذكر حرمتها في التوراة » (٢) ولهذا فإن الصابئة لا يزوجون من بنت الأخ ولا من بنت الأخت .

يحيى في القرآن الكريم

أما ولادة يحيى فكانت مكرمة من مكارم الأنبياء، جاء في سورة مريم:

(كهيعص . ذِكرُ رَحمةِ رَبِّكَ عَبدَهُ زَكَرِيّا . إذ نادَى رَبَّهُ نداءاً خَفيًّا . قالَ رَبِّ إنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي واشتَعَلَ الرَّأسُ شَيْبا وَلم أكُن بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وإنِّي خِفتُ المَوالِيَ مِن ورائِي وكانَتِ

---

(١) قال عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود المعروف بأبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ ١٣٣١م :

« أما يحيى ابنه فإنه نبيء صغيراً ، ودعا الناس إلى عبادة الله ، ولبس يحيى الشعر واجتهد في العبادة حتى نحل جسمه ، وكان عيسى بن مريم قد حرم نكاح بنت الاخ ، وكان لهرذوس ، وهو الحاكم على بني اسرائيل ، بنت أخ وأراد أن يتزوجها ، حسبما هو جائز في دين اليهود ، فنهاه يحيى عن ذلك ، فطلبت أم البنت من هرذوس أن يقتل يحيى فلم يجبها الى ذلك ، فعاودته وسألته البنت أيضاً وألحتا عليه فأجابهما إلى ذلك، وأمر بيحيى فذبح لديهما وكان قتل يحيى قبل رفع المسيح بمدة يسيرة لان عيسى عليه السلام إنما ابتدأ بالدعوة لما صار له ثلاثون سنة ، ولما أمره الله أن يدعو الناس إلى دين النصارى غمسه يحيى في نهر الاردن ، ولعيسى نحو ثلاثين سنة ، وخرج من نهر الاردن ، وابتدأ بالدعوة وجميع ما لبث المسيح بعد ذلك ثلاث سنين فذبح يحيى كان بعد مضي ثلاثين سنة من عمر عيسى ، وقبل رفعه ، وكان رفع عيسى بعد نبوته بثلاث سنين ، والنصارى تسمي يحيى المذكور يوحنا المعمدان لكونه عمد المسيح حسبما ذكر » إه . (المختصر في أخبار البشر) م١ ص٣٤

(٢) عبد الوهاب النجار في « قصص الانبياء » القاهرة ١٣٥٥ ص٤٤٠ .

امْرأتي عاقِراً فَهَبْ لي مِنْ لَدُنْك وَلِيًّا . يَرِثُني ويَرِثُ مِنْ آل يَعْقوبَ واجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا .يا زَكَرِيَّا إنَّا نُبَشّرُك بِغُلامٍ اسمُهُ يَحْيى لَمْ نَجْعَل لهُ من قَبْلُ سَمِيًّا.قال رَبِّ انّى يَكُونُ لي غُلامٌ وكانَت امْرأتي عاقِراً وقَدْ بَلَغتُ مِنَ الكِبَرِ عِتيًّا.قال كَذلكَ قال رُبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيّنٌ وقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قبلُ ولَمْ تَكُ شَيْئا . قال رَبِّ اجْعَلْ لي آيَةً قال آيَتُكَ ألاَّ تُكَلّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ المحْرابِ فأوْحى إليْهِمْ أنْ سَبّحوا بُكْرةً وعَشِيًّا يا يحْيى خُذِ الكتاب بَقُوَّةٍ وآتيْناهُ الحُكْمَ صَبِيًّا. وحناناً مِنْ لَدُنّا وزكاةً وكان تقيًّا . وبرًّا بوالديْه ولم يكن جَبّاراً عصيًّا . وسلامٌ عليْه يوم وُلِدَ ويَوم يموتُ ويَوم يُبعثُ حيًّا) (١).

يحيى في التوراة وفي الانجيل

لم يرد ذكرٌ ما ليحيى بن زكريا في العهد القديم « التوراة » أما في العهد الجديد « الانجيل » فقد جاء في الإصحاح الأول من « إنجيل لوقا » ما نصه :

«كان في أيام هيرودوس ، ملك اليهودية ، كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا ، وامرأته من بنات هارون ، واسمها اليصابات ، وكانا كلاهما بارين أمام الله ، سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم ، ولم يكن لهما ولد إذ كانت اليصابات عاقراً ، وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما.فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله ، حسب عادة الكهنوت ، أصابته القرعة أن يدخل

---

(١) سورة مريم : الآيات ١ — ١٥ .

إلى هيكل الرب ويبخر، وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجاً وقت البخور فظهر له ملاك الرب ، واقفاً عن يمين مذبح البخور ، فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف ، فقال له الملاك لا تخف يا زكريا ، لأن طلبتك قد سمعت، وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا، ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته ، لأنه يكون عظيما أمام الرب ، وخمراً ومسكراً لا يشرب ، ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس ، ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلاههم ، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوتـــه ليرد قلوب الآباء إلى الابناء ، والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيء للرب شعباً مستعداً فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لاني أنا شيخ ، وامرأتي متقدمة في أيامها فأجاب الملاك وقال له : أنا جبرائيل الواقف قدام الله ، وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا ، وها أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته. وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه في الهيكل ، فلما خرج ، لم يستطع أن يكلمهم ، ففهموا انه قد رأى رؤيا في الهيكل ، فكان يومىء اليهم وبقي صامتاً ، ولما كملت أيام خدمته ، مضى الى بيته ، وبعد تلك الايام، حبلت اليصابات امرأته ، وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة : هكذا قد فعل بي الرب في الأيام التي فيهـــا نظر إلي لينزع عاري بين الناس ، وفي الشهر السادس ارسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبـــة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم ، فدخل اليها الملاك وقال : سلام لك أيتها المنعم عليها . الرب معك . مباركة انت في النساء ، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى ان تكون هذه التحية ، فقال لها الملاك لا تخـــافي

يا مريم ، لانك قد وجدت نعمة عند الله ، وها انت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيما وابن العليّ يدعى ، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولايكون لملكه نهاية، فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ، فأجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلي تظللك، فلذلك ايضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله ، وهو ذا اليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن في شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً، لانه ليس شيء غير ممكن لدى الله ، فقالت مريم هو ذا انا أمة الرب ليكن لي كقولك ، فمضى من عندها الملاك ، فقامت مريم في تلك الايام، وذهبت بسرعة إلى الجبال ، الى مدينة يهوذا ، ودخلت بيت زكريا ، وسلمت على اليصابات فلما سمعت اليصابات سلام مريم؛ إرتكض الجنين في بطنها ، وامتلأت اليصابات من الروح القدس ، وصرخت بصوت عظيم ، وقالت مباركة أنت في النساء، ومباركة هي ثمرة بطنك فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي . فهو ذا حين صار صوت سلامك في اذني ارتكض الجنين بابتهاج في بطني فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب ... وأما اليصابات فتم زمانها لتلد ، فولدت ابناً، وسمع جيرانها واقرباؤها ان الرب عظّم رحمته لها ، ففرحوا معها ، وفي اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبي ، وسموه باسم ابيه زكريا، فأجابت أمه وقالت لا بل يسمى يوحنا ، فقالوا لها ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الإسم ، ثم أومأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يسمي، فطلب لوحاً، وكتب قائلا اسمه يوحنا، فتعجب الجميع ، وفي الحال انفتح فمه ولسانه ، وتكلم ، وبارك الله فوقع خوف على كل جيرانهم ، وتحدث بهذه الأمور جميعها في كل جبال اليهودية ، فأودعها

جميع السامعين في قلوبهم ، قائلين أترى ماذا يكون هذا الصبي وكانت يـــد الرب معه ... أما الصبي فكان ينمو ويتقوّى بالروح ، وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل » اهـ.

يحيى في كتب الصابئة

قال (هيبل زيوا) الروحاني الذي نزل الى العالم ، واوحى كتاب (الكنزا) الى ابينا آدم على ما يعتقده الصابئة :

(فأعيد عليكم الكلام يا تلامذتي : ان مشيها ـ المسيح ـ ويقال له عطارد سوف يختفي عدة اشهر في احشاء أم بتول ثم يبرز منهـــا بجسده ، فيربو في حجر والدته ، ويرضع من لبنها ، وينشأ بين ظهراني اليهود ، ويعرض مذهبه كله منذ اول نشأته ، ثم يعد لنفسه عبدة له ، ويكره اصحابه على استشعـــار المرعزّاء ـ اي اتخاذ شعر المعز شعاراً يلبسونه ـ وجزّ شعور الرأس فيرين الهوى على قلوبهم من حيث لا يدرون ثم ان اصحابه يقومون بعيده يوم الشمس وسوف يقول لهم (اني إله حق ، وقد ارسلني ابي الى هنا ، اني انا اول الرسل وخاتمهم. اني الأب واني الروح القدس ، وقد نبغت في الناصرة) وله عرش وسوف يرفع الناسوت بالناسوت وسوف ينتقل الى اورشليم. هذا وان اليهود سوف يتألبون اليه بما يرون منه وسوف يريهم معجزات وآيات غريبة حتى انه ينشر الموتى من القبور ، ويعيد الكلام اليهم ، وسوف يـــدعو اليهود ويقول لهم : تعالوا وعاينوا فإني احيي الموتى وانشرهم وادفع الفدية واني انا آنوش الناصري هذا وان الروح نفسه سوف يسمع صوته في اورشليم ليشهد له . اما مشيها فإنه يفتن ابناء الناس ، يعمدهم بماء قابل النشف ويغير عماد الحياة اذ يعمد المتشيعين له باسم الأب والابن ، والروح القدس ، ويزجزح النـــاس عن

عماد الحياة الذي تعمد به آدم في مياه الاردن الحية .

(وفي ذلك العهد يولد ابن اسمه يهي بن ابو صاوا ـ زكريا ـ ويأتيه في شيخوخته ويكون عمر امه انشوي مائة سنة حينما تحبل به ، وتلده ، في هرمها . وأما يهي فسوف ينشأ في اورشليم لأن الايمان يكون في صدره ، وسوف يطوف الأردن ، ويعمد الناس مدة ٤٢ سنة قبل ان يأتي العالم عطارد المتجسد وبعد ولادة يهي في اورشليم ، بينما يطوف صقع الأردن ويعمد ، سوف يأتي مشيها ـ المسيح ـ ويتقدم بتواضع ليصطبغ بعماد يهي ، وينتفع بحكمته . لكن مشيها سوف يعبث بمذهب يهي ويغير عماد الأردن ، غير انه في اليوم الذي يتم يهي مهمته ، آتي اليه وأظهر له حينما يكون ابن ٣ سنين ويوم واحد لأكلمه عن العماد ، وأشرح له النعمة الإلهية . وفي آخر الأمر استل روحه من جسده ، وأرفعه بالطهارة والنقاء إلى آلمي دنهورا ، وأعمده في الماء الحي المنعش ، ماء الأردن الزلال ، وألبسه لباس المجد ، وأضع على مفرقه التاج النير ، وأسمعه أنشودة القلب الطاهر ، تلك الأنشودة التي تشبه الاغنية التي يغنيها ملوك النور ويسبحون بها ملكا دنهورا إلى دهر الداهرين . إلا ان العالم ينحاز الى الكذب بعد يهي ويدفع المسيح جميع الشعوب الى اتباع تعاليمه . ومثله يفعل اثنا عشر من الرجال الذين سوف يطوفون العالم مدة ٣٠ سنة وفي تلك الحقبة يظهر الدجال في الدنيا ، ويقيم الدعوى عليه ، ويسلمه إلى أيدي اليهود ، ويتركه اصحابه يموت مسمراً على صليب فحينئذ ينتشر أصحاب المسيح على وجه البسيطة وأما هو ـ اي المسيح ـ فيختفي على جبل سورا ، وكما أن الشمس تبقى بخاراً بعد وهجها ، فإن هذا المسيح يثير ايضاً في الارض تعاليمه . أما أبناء الناس الذين دانوا بدين الكذبة السبعة ، المعروفين

باسم مدبّري الكواكب السبعة فإنهم يصيرون إلى النار » (١) .

يحيي في روايات اخرى

« قالوا وكانت الصابئة عند مولده ـ مولد يحيى ـ قد انقرضت من العالم بتة ، لأن أساقفتهم وكهنتهم كانوا قد ماتوا كلهم فبقوا من غير هاد ، ثم اختلطوا ببعض طوائف اليهود من غير اهل الختان ، فأشربوا عقائدهم ، ومذ ذاك انقطع الوفد عن عالم الأنوار ، وهو دار النعيم ، فاستوحش اهله ، ورفعوا امرهم بالتشكي إلى ـ ماري ادربوثا ـ فاستحضر لوقته ـ منادهي ـ احد الثلاث مئة والستين شخصاً السماويين ، وامره بتدارك هذه الثلمة ، فجاء بإناء فيه ماء ، وتلا عليه كلمات سرية ، ودفعه إلى واحد من الملائكة ، وامره ان ينطلق إلى ـ اي نشفي ـ وهي ام يحيى ، ويتلطف في الاحتيال ، بحيث تشرب منه ، دون ان تعلم ما فيه ، فارتسم الملك امره ، وهبط الى اي نشفي ، وجعل الاناء بين يديها ، وادركتها عطشة فاغترفت من ذلك الماء في حفنتها وشربت منه ، فحملت لوقتها ، ولما كانت الليلة التالية ، رأى احد اليهود في حلمه ان ـ اي نشفي ـ قد حملت ، وان الولد الذي ستضعه سيكون زعيما على الأمة ، ويدين اليهود بأمره ، وانه سيعمدهم ، ويسقيهم ماء الممبولا ، وهو الماء الذي يسقيه كاهن الصابئة لكل معتمد فلما اصبح اليهودي صار الى العازار ، رئيس ملته ، وقص عليه حلمه ، فانطلق العازار حتى لقي ابو صادا وهو زوج اي نشفي ، واعلمه ان زوجه حامل ، فأنكر ابو صادا ذلك ، وقال كيف يكون هذا وزوجي عجوز كبيرة ، ولم تحمل قط مذ كنا معاً ، فحشد العازار اعيان اليهود ، وقص عليهم الأمر ، فأخذوا قصص الحلم ،

(١) هذا تعريب ما في كتاب الصابئة الكبير كنزا ربا على ما جاء في المشرق البيروتية ١٩٠١م (٤-٩٢٥)

والتفتوا به الى معبّر للاحلام مشهور بالحذق والاصابة ، فكان تعبيره مطابقاً لتصورهم ، فعزموا على ان يتربصوا بـ ـ اي نشفي ـ ان تضع جنينها فيقتلوه عند ولادته ، ولما جن الظلام قدم ابو صادا على العازار ليفاوضه في الأمر ، فرأى العازار ابو صادا داخلا ، وبين يديه قبسان من نور ساطع ، ووراءه ظلمة ، فقال العازار ما هذه المصابيح الأربعة التي حولك ، فقال لا أدري ، انها هي المرة الأولى التي ارى فيها ذلك ، وأجهل من اين جاءتني هذه الأنوار وكانت مصاحبة له طول التسعة الأشهر التي كانت امرأته فيها حبلى ، وبعد ذلك على ـ اي نشفي ـ تسعة أشهر ، وتسعة ايام ، وتسع ساعات ، وتسع دقائق (١) من حين الحبل أخذتها اوجاع الطلق ، فاجتمعت حولها نساء اليهود بالأمر السري الذي تلقينه من قبل الرؤساء ليقتلن الطفل عند مولده لأنه لم يتم لهن ذلك لأن زهرئيل لالاتو ، وهو روح موكل بالمواليد ، وهو الذي يدير رأس الجنين من فوق إلى اسفل ، قبل الولادة ، اخذ الولد بعد خروجه من امه (٢) وجعله بين ايدي الملائكة ، فأخذوه إلى عالم النور ، الذي هو الفردوس . وهناك شجرة تسمى ـ فهزيون ملالا ـ على اغصانها ثدي كثيرة حافلة باللبن إذا مات احد الصابئة طفلا بعد المعمودية وقبل ان يستوفي رضاعه ، جُعِل عليها ، فرضع من تلك الثدي . فنشأ هذا الغلام الذي هو يحيى في الفردوس ، واعتمد هناك باسم الإله وباسم ماري ادربوثا ومندادهي

(١) يقول الصابئة المندائيون ان الله تبارك اسمه اراد أن يميز يحيى بن زكريا ، وعيسى ابن مريم عليهما السلام فجعل مدة كل منهما في البطن زيادة على تسعة الاشهر المقررة للنساء تسعة أيام وتسع ساعات .

(٢) هذه هي رواية الصابئة . أما ما جاء في الاصل المنقول عنه فهو « اخذ الولد بأن خرج من فم امه » والفرق بين الروايتين واضح .

وهذا الأخير هو ابوه الذي تلا الكلمات السرية على الماء الذي سُقيته امه على ما تقدم حديث ذلك ولذا كان يحيي في زعمهم يعمد باسم هؤلاء الثلاثة» (١)

ولما اراد يحيي إظهار نبوته في العالم السفلي ، وسن شريعته، قرأعليه أهل عالم الأنوار كلمات باللغة المندائية تقيه أذى النار والماء والسلاح وسائر الآفات، وعلموه كلمات اخرى اذا نطق بها أدرك ماشاء، وفعل كل ما اراد ثم سلموه بيد ـ اتش اثرا ـ احد الثلاث مئة والستين شخصاً السماويين، ليصحبه إلى العالم السفلي ، فركبا زورقاً في الأردن ؛ واتجها نحو اورشليم، حيث كانت قبيلة يحيي فعرفته خادمة بيت أبيه ، واخبرت امه «اي نشفي» بذلك فهمت هذه بالذهاب اليه ، فمنعها زوجها ابو صادا من ذلك وهددها بالطلاق إن هي سارت الى حيث تريد ، فسقطت صحيفة من السماء بين يديه فتناولها فإذا بها هذه الكلمات «إياك وان تسوء امرأتك بأمر ولكن هلم في اثرها فإنها ذاهبة للقاء يحيي » فنهض ابو صادا وتبع زوجته واحتفلا بالقادم كما احتفل هو بهما. وكانت الشمس والقمر تحفظان يحيي ، فلما وصل وانش اثرا اورشليم اظهر معجزاته وهي شفاء المرضى والعميان ، فلم يؤمن به اليهود واحرقوا عليه منزله الا ان النـــار كانت برداً وسلاماً عليه ، فضربوه بأسلحتهم فلم تعمل فيه عملها المأمول، فلما رأوا ذلك، آمنوا برسالته ، ما عدا العازار وأتباعه ، واعترفوا به زعيما عليهم ، وهم لا يبرحون في طاعة خلفائه الى يومنا هذا .

وفي كتاب الصابئة الكبير « الكنزاربا » انه كان قبـــل ظهور يحيي ملك يسمى « داراملكه » ولما مات تشتتت الصابئة، وتبعثرت كتبهم، بفعل الحروب التي دارت بينهم وبين الاسرائيليين ، فلما ظهر يحيي جمع ما تبقى من هـــذه

(١) مجلة البيان : (١٠٠ – ١٠٢) القاهرة ١٨٩٧م .

الكتب ، وصنف كتباً اخرى وزعها على أتباعه، كما استعاد الصابئين الفارين من ظلم بني اسرائيل ، وأمرهم بالرجوع إلى كتبهم القديمـــة . فمنهم من لبى الطلب ، ومنهم من رفضه .

وفاة يحيي عليه السلام

ولما أقر يحيي شريعته بين أتباعه ، خرج إلى عدوة الأردن ،حيث عمد السيد المسيح « ويسمونه مشيها » باسم الإله واسم ماري أدربوثا ومنداهي ، الأسماء التي هو عمد بها ، وبما أن يحيي كان بارعاً في الجمال ، فقد دعا الله أن يصونه من حبائل النساء ، وبقي زمناً طويلا أعزباً حصوراً ، فحرضتـــه الصابئة على الزواج ، خشية اضمحلال ملتهم، فنزل عند رأيها وعادت الصابئة إلى الزواج ، وأخذ مؤمنوهم أيضاً يتزوجون .

ولما أحس يحيي بدنو أجله قال لزوجته : ماذا أنت صانعة من بعدي ؟

قالت: انقطع عن الطعام والشراب تعجيلا لأجلي حتى أذهب وأنضم اليك.

فقال يحيي : بل ستأكلين وتشربين ثم لا تخطريني ببالك .

قالت : سأعتزل الغُسل ولا أضفر شعري ما بقيت حتى أذهب وأنضم اليك

فقال يحيي : انك لن تُمضي ما تقولين بل ستغتسلين، وتضفرين شعرك وأصير عندك نسياً منسياً .

قالت : سأنقطع في خبآئي لا أرى أنسياً حتى أموت وأنضم اليك .

فقال يحيي : بل ستنقادين لالحاح ذوي القرابة والأصدقاء فيخرجونك من خبائك وتسليني .

فقالت : وما عسى أن ازيد على ذلك؟

قال : كل ما تكلمت به إنما هو خفة ورعونة . ان خير ما تعملينه من

بعدي : الابتهال الى الله ، ودعوة الأساقفة ، والقسيسين، ليأكلوا مما تذبحينه لأجلي فيصلوا علي ، وتبقين أنت على بشاشتك (١) .

وما أن أتم يحيى حديثه مع زوجته ، حتى وافاه مندادهي «أبوه» متمثلا بصورة فتى وطلب اليه أن يعمده ، فوعده يحيى ان يعمل ما يريده في الغد فلما كان اليوم التالي وافاه مندادهي ،وهو يصلي، فظن انه جاء ليتعلم الصلاة ولكنه اخذ قبساً ورمى به يحيى فنام ، ودعا (مندادهي) الله جل جلاله ان يجعل النهار اربع ساعات ، فأجابه الباري الى دعائه ، فلما استيقظ يحيى من سباته ، بعد مضي اربع ساعات ، ذهب إلى الماء الجاري ، فاغتسل وصلى وعندها طلب اليه الفتى (مندادهي) ان يعمده ، فنزل يحيى في النهر ، وأمر الفتى ان يتبعه ، فأخذ ماء النهر يرتفع بالتدريج ، حتى غمر ثياب يحيى ، فأسرع يحيى إلى اليابسة ، فنزل الماء ، ولما عاد يحيى اليه ، عاد الماء الى الارتفاع ، وتكررت الحال ثلاث دفعات ، فلما كانت المرة الرابعة ، اسرّ مندادهي الى الماء ان لا يرتفع ؛ فظهرت الطيور والأسماك ترفل بحلل بيض، وأحاطت بيحيى ومندادهي ، فأدرك يحيى السر وصاح (تبارك اسمك يا مندادهي) وقبله في جبينه ، فظهر مندادهي بمظهره السماوي، فأراد يحيى أن يلمس يده . فرد عليه الملاك (إن تمسسها تموت) فرد يحيى انه يتمنى ذلك الموت ، ليذهب إلى عالم الأنوار (آلمي دنهورا) فأعطاه مندادهي يده فلمسها يحيى ، فسقط جسده للحال ميتاً ، ورجلاه في الماء ، وسائر جسده خارجه ولحقت نفسه بنفس مندادهي .

وبينما الروحان تسبحان في الفضاء ، رأت روح يحيى جسده مطروحاً

1-M. N. Siouffi : Étuesd Sur La Religion Des Soubbas P. 10 - Paris 1880

على الأرض ، تنهش فيه الطيور من كل جانب، وتأكل فيه الأسماك من جانب آخر ، فتأوهت ، فسألها منادهي السبب؟ فأجابت انها خلفت وراءها أطفالا كانت تود أن تقوم بأودهم ، فرد الملاك عليها (ما لهذا تأوهت ، ولكنك نظرت الى جثتك تنهشها الطيور والأسماك فجزعت ، ولكني سأجعلهـا في حرز حريز) .

وعندها أخذ منادهي حفنتين من التراب ، والقاهما على جثة يحيى ، فكانتا قبراً له ، واستمرت الروحان في السير سوية حتى بلغتانهر (دخشاشة) وهو النهر الذي يفصل بين المطرائي والفردوس ، فركبتا زورقاً انتهى بهما الى عالم الأنوار ، فأقام يحيى في قصر منادهي .

هذه هي قصة ميلاد يحيى بن زكريا ، وقصة قبض روحه ، على ماجاءت في الأسفار الدينية المنوعة ، وفي المصادر المختلفة ، نسردها من دون تعليل ولا تعليق .

مدفن يحيى (ع)

ذكرنا على ص ٥٦ من هذا الكتاب ان هرذوس ؛ الحاكم على بني اسرائيل امر بذبح يحيى بن زكريا عليه السلام لمعارضته إياه على الزواج من (هيروديا) ابنة اخيه فأين دفن الذبيح ؟

في داخل المسجد الأموي في الشام قبر يعلوه مشبك فخم يرى المسلمون انه قبر يحيى (ع)(١) أما المسيحيون فإنهم يقولون ان رأس النبي القتيل دفن

---

(١) يقول المؤرخون : لما اتسعت الدولة العربية الإسلامية شرقاً وغرباً ، وغدت دمشق عاصمة تلك الدولة العظيمة ، ضاق المسجد الجامع بالمصلين فكان لا بد للخليفـة الأموي ، الوليد بن عبد الملك (٨٦ — ٩٦هـ) من أن يستشير أصحابه ليجد حلا لهذه القضية ، وأخذ يسترضي المسيحيين ليتنازلوا عن القسم الذي يخصهم في هذا المسجد الذي شيد على أنقاض الصرح الروماني القديم واشترك المسلمون والمسيحيون في إقامة شعائرهم الدينية فيه متجاورين.

اما في (كنيسة المسقوف) على رأس قمة جبل الزيتون في القدس ، واما في جوار (نابلس) بفلسطين (١)اما الجسد فإنهم لا يعرفرن عن موضع دفنه شيئاً، وانهم لا يزورون القبر لعدم جواز زيارة الميت ، ولأن الجسد فان والروح ليست فيه ، على حين ان الصابئين (المندائيين) يعتقدون ان الجسد والرأس دفنا في ششتر بإيران .

ـ فلما شرع البناءون في هدم القسم المسيحي ـ الكنيسة ـ وجدوا كنيسة صغيرة بمساحة ثلاثة أذرع في ثلاثة فيها سفط يحوي رأس إنسان مكتوب عليه « يحيى بن زكريا » فأمر الوليد أن يعاد كل شيء كما كان ، وأشار أن يكون لون السارية المقامة في المكان من لون مغاير .

(١) زرنا القدس ونابلس في ١٠ آب ١٩٦٢ فلم نتثبت من صحة هذا القول .

كتب الصابئة المقدسة

الكتب المقدسة هي المصادر الوحيدة لأديان العالم ، وليس من أمة على وجه البسيطة لا تستمد ديانتها من كتب تعتقد بصدورها من مصدر سماوي. وحتى الأمم المتوحشة تسند أساطيرها وطقوسها إلى مصدر روحي وراء هذا العالم المنظور .

وتجتهد هذه الأمم في أن كتبها صادرة من واسطة التبليغ مباشرة ، بل قد يترقى البعض منها فيجعل هذه الكتب منزلة بمجموعها من السماء، كما تدعيه الصابئة في « صحف آدم » المفقودة ، أو كما يدعيه اليهود في « توراتهم » قبل السبي ، وقد يكون هذا الدافع طبيعياً لتقوية الاعتقاد ، وبناء الايمـــان على أساس متين .

وقد سعت المجامع التي عقدتها الأمة النصرانيـــة في القرون الوسطى إلى تصحيح الأناجيل ، وإلى محو المشتبه فيه ، كما حصل هذا التصحيح للقرآن في صدر الاسلام ، حينما أمر الخليفة الثالث : عثمان بن عفان (رض) بمحو كل ماكتب بغير لغة قريش .

وهكذا نجد الأمم على اختلافها تعتقد بأن كتبها هي المصدر المفيدلليقين بتكاليفها ، والواسطة التي تدين بها لمعبودها .

ويرى الصابئة ـ زيادة على ما تقدم ، وعلى ما تراه الأمم الأخرى ـ أن كتبهم المقدسة قد توارثوها بصورها الموجودة لديهم عن آدم أبي البشر ، ومنه انحدرت الى نوح عليه السلام ، وبعد الطوفان الى سام ، ثم الى ولده رام ، ومنه الى ابراهيم الخليل ، فموسى الكليم ، فيحيى بن زكريا ، الذي يسمونه

يوحنا المعمدان . وهم يعترفون بأن معظم هذه الكتب قد تلف ، بالرغم من حرصهم الشديد على الاحتفاظ بها ـ الا انهم لا يشكون ـ في الوقت نفسه ـ في أن صورة الموجود منها طبق الصورة الأصليـــة المنزلة ، وان التطورات التاريخية لم تؤثر عليها ، لا من حيث اللغة ، ولا من حيث الترتيب ، وقـــد يكون هذا الشيء مستبعداً في نظر العلماء ، وفي نظر المدققين .

والذي يلفت الأنظار بنوع خاص أن الصابئة يحرصون على منع الغير من الاطلاع على كتبهم المقدسة منعاً شديداً ، لأنهم يرون في هـــذا الاطلاع أمراً محرّماً يؤثم الفاعل عليه ؛ ولهذا لا يكاد الانسان يستطيع الوقوف على أحدها الا بشق النفس ، وقد حاول فريق من المستشرقين : فيهم الالماني ، والفرنسي ، والايطالي ، والانكليزى ، ان يحصل على بعض هذه الكتب ، وبذل في سبيل ذلك مبالغ طائلة فأخفق ، ولذا ندر وجود أمثال هذه الاسفار الدينية في خزائن الكتب المشهورة ، وبالرغم من كل ذلك ، تسربت جملة من هذه المصادر الى بعض هذه الخزائن ، نتيجة لما بذله هـــذا البعض من الخزائن من اموال وفيرة ، ووسائل مغرية للظفر بهذه المصادر . أما لغة هذه الكتب فهي « المندائية » وهي لغة سامية قريبة من « السريانية » وكانت مشهورة في قديم الزمان غير أن « المندائيين » يعتقدون بأنها اللغة التي كان يتكلم بهـــا آدم عليه السلام .

وأهم الكتب التي بقيت اليوم في ايدي الصابئين « المندائيين » هي :

١ً ـ كتـــاب الكنزاربا Qinza Rabba

أي الكتاب العظيم ، ويقال له « سدرا آدم » أو « صحف دآدم » وقـــد يكتفون بقولهم « السدره » بوجه الاطلاق ويعتقدون أنه صحف آدم نفسها ،

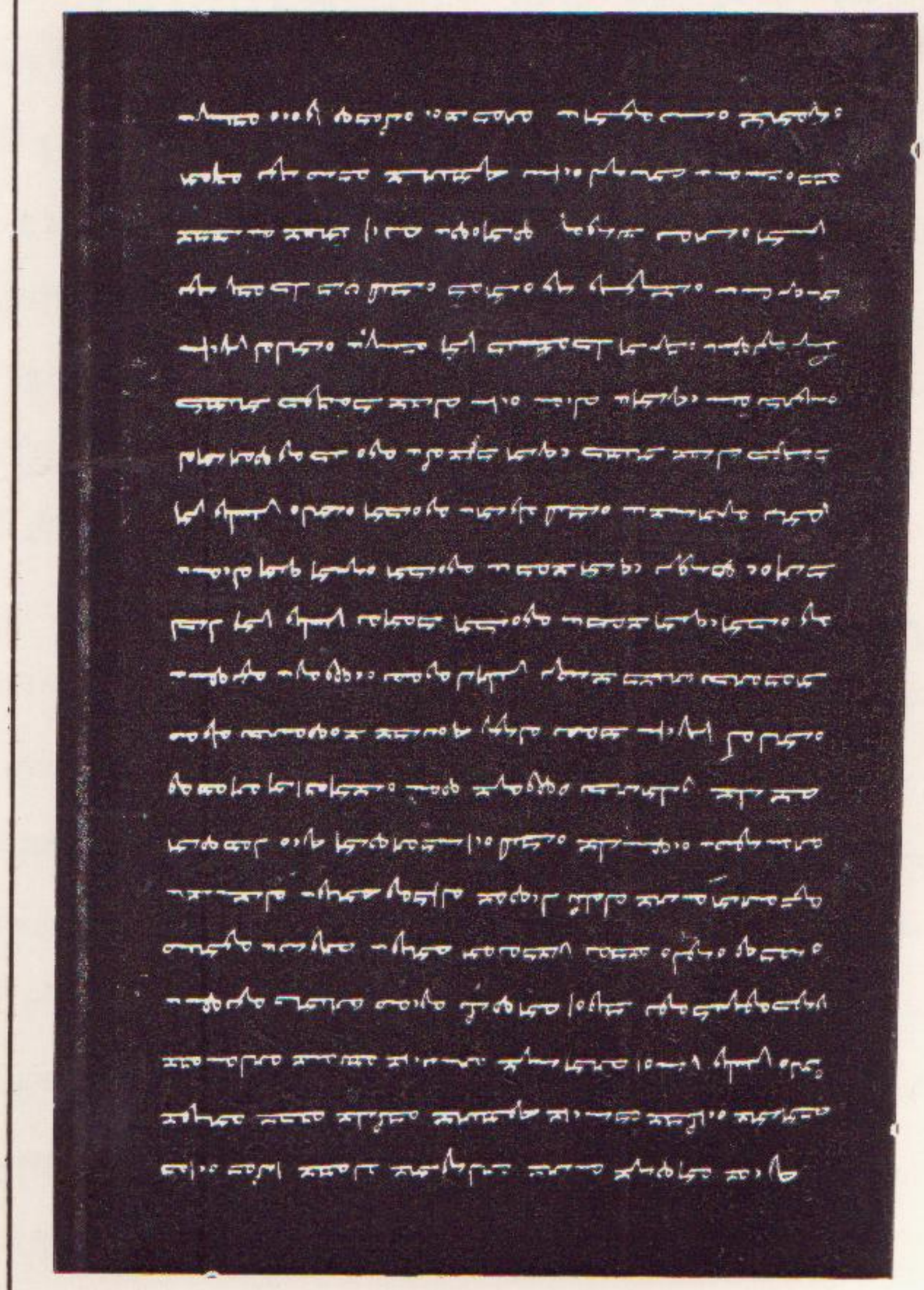

نموذج صفحة من كتاب الكنز الرباني

– اهم كتاب يحتفظ به الصايغون في الوقت الحاضر –

وتنحصر مباحثه في ذكر بدء الخليقة ، والتطورات التي حدثت للبشر ،وفي صفات الخالق ، وفي الوعظ والارشاد ، وفي سنن الدين والمعتقد .

وتختلف الصابئة في عهد كتابته . فمنهم من يقول أن تاريخه يرتقي الى ما قبل النصرانية ، ومنهم من ذهب الى انه من عهد يوحنا المعمدان ،ومنهم من قال غير ذلك ، وذهب الأب انستاس ماري الكرملي في مجلـــة المشرق اليروتية « ٥ (١٩٠٢) ص٣٠٨ » الى انه لم يكتب قبل سنة ٧٠٨ للميـــلاد لوجود نصوص فيه تؤيد ذلك ، وعلى كل لايكاد تاريخه يعرف بالضبط.

ولهذا الكتاب طبعتان : الأولى نشرها المستشرق السويدي M. Norberg بحروف سريانية مع ترجمة لاتينية في أربعة مجلدات في «كوپنهاغن» سنـــة ١٨١٥م . والثانية نشرها المستشرق الالماني J. H. petermann على حجر بالنص المندائي في (لايبسك) سنة ١٨٦٧م .

وفي « خزانة المتحف العراقي » نسخة كاملة من الطبعـــة الاولى برقم (مطبوعات ٤٧٦٢/٤٧٦٦)وهي نادرة جداً ، كما ان في هذه الخزانة نسختين مخطوطتين من هذا الأثر الكبير . رقم الاولى (مخطوطات ٢٥٣) وهي في ١٦٨+٤٤٢ صفحة بقطع ٣١×٢١ سم ورقم الثانية (مخطوطات ١٤٤٠) وهي في ٤٩١+١٨٢ صفحة بقطع ٣١×٢١ سم . مع عشرين سطراً في كل صفحة ، وكلتا النسختين على ورق معشر (١) .

إن من مميزات هذا الكتاب المقدس أنه يتقوم من قسمين: يميني وشمالي ، فإذا مسكه أحدهم من القسم اليميني كان قسمـــه الشمالي مقلوباً ، أي يكون

---

(١) وهناك ترجمات وشروح ظهرت في فترات مختلفة منذ ذلك التاريخ كانت خاتمة ما ظهر منها طبعة البروفسور Mark Lidzbarski في سنة ١٩٢٥ وهي طبعة جليلة مع ترجمة إلى اللغة الالمانية
E. S. Drower, the Mandaeans of Iraq and Iran P. 24 London

أعلاه أسفله ، وإذا مسكه من القسم الشمالي ، كان قسمه اليميني مقلوباً فيستطيع مؤمنان قاعدان على حافتي الساقية الواحدة أن يقرءا فيه في آن واحد .

٢ً ـ كتاب أدرافشادهيي

ويقال له (سدرا ديهي) أي تعاليم يحيى ، أو كتاب يحيى ، وهو أحدث تاريخاً من الكتاب الأول على كل حال ، ويتضمن حياة نبي الله يحيى من بدء ولادته العجيبة وتربيته في الجنة ونزوله الى الأرض ليبلغ رسالته الى تاريخ وفاته ، وصعوده إلى السماء كما يتضمن إرشاداته ، وتعاليمه الدينية . ويقولون ان الملاك جبرائيل كان قد أوحى إلى يحيى بن زكريا أن يضع هذا الكتاب ويسميه بهذا الاسم . وقد نقله الى الالمانية المستشرق الألماني M. Lidzbarski في سنة ١٩١٥م بكل دقة وعناية .

٣ً ـ كتاب القلستا

أي كتاب الفرح ، أو الطرب ، وهو كتاب خاص للبحث عن رسوم الزواج ، وسننه ، والاحتفالات التي تقام أثناء عقده ، وعن كيفية تحليل النكاح الشرعي ، وإجراء الخطبة ، وما إلى ذلك .

٤ً ـ كتاب سدرا دنشماثا

أي (كتاب النفوس) ويعتقدون انه أنزل على آدم أبي البشر ، وانه أساس الديانة الصابئية ، ومنه تستمد بقية المعلومات . أما موضوعه فهو البحث في السنن التي ينبغي اتباعها في الجناز ، وتلقين الأموات ، وكيفية دفنهم وأسباب تحريم البكاء أو إعلان الحداد عليهم ، وكيفية انتقال الروح من الجسد ، فالأرض ، فعالم الأنوار (آلمي دنهورا) وما إلى غير ذلك مما يتعلق

بالموت ، والمعاد . كما ان فيه نصوص الصلاة التي يقرأها الروحاني في حفلات الاعتماد . وقد نقل القسم المختص منه (بطقوس التعميد) إلى الألمانية المستشرق M. Lidzbarski سنة ١٩٣٠م ، ونشر الكتاب بنصه المندائي في المجلد الخامس من مجموعة Mission Scientifique en Perse في باريس عام ١٩٠٤ بعناية J.de Margan

وفي خزانة المتحف العراقي نسخة حديثة منه ، باللغة المندائية ، نسخت للأب أنستاس ماري الكرملي على ورق معشر سنة ١٨٩٤م فجاءت في ٢٨٤ صفحة بقطع ٣١×٢١ وفي كل صفحة ٢٠ سطراً ورقمها «مخطوطات ١٨٩٦»

٥ً ـ كتاب الديونان

وقد يسمى « الديوان » أحياناً للتخفيف ، وهو سفر ضخم يعد من أنفس كتب الصابئة ، التي تعين المتتبع لديانتهم على الوقوف على أهم ما يتطلبه الباحث ، إذ فيه قصص بعض الروحانيين ، وسيرهم ، مع صورهم ، ونسخه أندر من الكبريت الأحمر .

٦ً ـ كتاب أسفر ملواشي

أي « سفر البروج » والعامة تسميه « أصفر ملواشا » وهو كتاب يستعين شيوخ الصابئة به على معرفة حوادث السنة المقبلة : كبيرها وصغيرها ، كما يستعينون بواسطته من معرفة البرج الذي ولد الشخص فيه ، فيستنبطون منه اسمه المقدّس ، الذي يبقى محفوظاً لديهم ويسمونه « ملواشا » ويعينون به طالع المولود . كما أن في الكتاب أموراً كثيرة ترجع إلى علم الفلك وإلى علم التنجيم ، وأذكاراً وأوراداً من نوعة يستعينون بواسطتها على طرد النوائب ، وإبعاد الأمراض

وقد نشرت الليدي دراور E. S. Drower هذا الكتاب بنصه المنـدائي

سنة ١٩٤٩ فجاء في ٢٨٩ صفحة كما نشرت ترجمة له بالانكليزية فجاءت في ٢١٨ صفحة .

٧ ـ كتاب الانيـــاني

أي «كتاب الأناشيد» أو «الأذكار الدينية» التي تتلى في الصلاة اليومية وقد أطلعني الكنزبرا «الشيخ دخيل الصابئي» على نسخة قديمة منه وادعى انها كتبت على رق غزال ، وذكر أن فيها بعض السنن التي تتبع في دفن الموتى من الصابئة ، إلى الأذكار التي يتلونها في صلواتهم اليومية ، كما شهدت نسخة ثانية منه في خزانة المتحف العراقي برقم (مخطوطـــات ٢٠٨٧) نسخت للأب أنستاس الكرملي على ورق معشر عام ١٨٩٥م فجاءت في ٢٠٨ صفحات من حجم ٢١٫٥×١٦ وفي الصفحة ١٣ سطراً .

وفي عام ١٩٠٤ نشر الكتاب المذكور بنصه المندائي في المجلد الخامس من مجموعة Mission Scientifique en Perse بعناية J. de Morgan .

٨ ـ كتاب قماها ذهيفـــل زيوا

(أي عوذة هيفل زيوا) وهو عبارة عن درج كبير فيه اكثر من ألف ومئتي سطر ، وهي عبارة عن تعزيمات شتى يحملها متدينو الصابئة ، ويزعمون أن من يلبس هذا الحجاب لا يؤثر فيه سلاح نار او سلاح بتّار ، وهـــذا الدرج لا يكتب لأحد ما لم يكن المندائي المستكتب قد اظهر علامات الصلاح والتقى بما لا مزيد عليه ، وفي آخر الدرج الأصلي الذي ينسخ عليه ، والمحفوظ عند اسقفهم ، قرأت هذه العبـــارة ـ إزدهر إزدهر ، إزدهر لكل انش لا تكدف ـ ومعنـــاها تحفظ ، ثم تحفظ ، ثم اقول لك تحفظ من ان تكتب القماها لكل من كان او لكل احد . وهم يحرصون عليها كل الحرص حتى انه

لا يجوز لهم ان يدّعوا من لم يكن من دينهم ان يمس هذا الدرج خوفاً من ان يتنجس او يفقد مفاعيله واذا فقد منهم فكل ما يبذلونه من البيضاء والصفراء في جانب استحصاله لا يعد شيئاً مذكوراً) (١) .

وهذا الكتاب قد نشر بنصه المندائي في باريس سنة ١٩٠٤ بعناية J. de Morgan وذلك في المجلد الخامس من مجموعة Mission Scientifique en Perse

٩ً ـ تفسير بغره

يبحث هذا الكتاب في علم تشريح جسم الانسان وتركيبه ، وفي المعنى المستتر للأطعمة التقليدية التي يتناولها ابناء الطائفة. كالبهثة والممبولا ونحوهما

١٠ً ـ كتب اخرى

وللصابئة ـ عدا ما تقدم ـ عدة كتب تتعلق بطقوسهم ، وآدابهم ، ومعايداتهم ، وسائر سننهم الاجتماعية مثل كتاب « الشروح » لمسائل دينية مختلفة ، وكتاب الـ (ترسر ألفي شيالا) اي (كتاب الاثني عشر الف سؤال) وكتاب (كداوا كدفياتا) اي كتاب العوذ ... الخ .

---

(١) المشرق البيروتية (١٩٠٢) م٥ ص٣١٠ .

علماء الصابئة

نوطئة

لكل امة من الأمم طبقة خاصة من رجالها تمتاز بكونها ذات منزلة مقدسة، وبكونها تشرف على أمور الأمة الدينية . وتتبع هذه الطبقة ـ في كثير من تصرفاتها وأوضاعها ـ قوانين الدين ورسومه الخاصة ، وقد تسمح لها السلطات المدنية في كثير من الأمم بالاستقلال ببعض أمورها، وباتباع أنظمتها الخاصة . وبنسبة رقي الأمم وانحطاطها تكون الحاجة شديدة وخفيفة إلى هذه الطبقة .

ففي الأمم المتمدنة تقتصر وظائف هذه الطبقة على إقامة الطقوس الدينية ممن المعابد والهياكل ، وتنحصر واجبات الجمهور نحوهم بالتقديس والاحترام . أما في الأمم المنحطة فتكاد تكون كل حركة من حركات الناس متوقفة على الإذن والرخصة من قبل رجال الدين ، ويكاد سلطان الدين فيها يكون سلطاناً مطلقاً لا يزاحمه أي سلطان آخر .

والصابئة من الأمم التي تحكمت السلطات الدينية فيها ، وجعلت كلمتها هي النافذة في أمور الطائفة كافة . فالولادة ، والتسمية ، والتعميد، والزواج والصلاة ، والذبح ، والجناز ، كل ذلك لا يتم إلا على أيدي رجال الدين .

وقد حتمت الشريعة الصابئية على من أراد الانخراط في سلك رجال الدين أن يكون سليم الجسم من العيوب الخلقية كافة، صحيح الحواس الخمس، غير مصاب بالبرش أو الجدري أو نحوهما ، وأن يكون سليل عائلة قد تمتعت بهذه النعم الخلقية منذ سبعة أظهر ، وأن لا تكون امه ثيباً حينما تزوجها

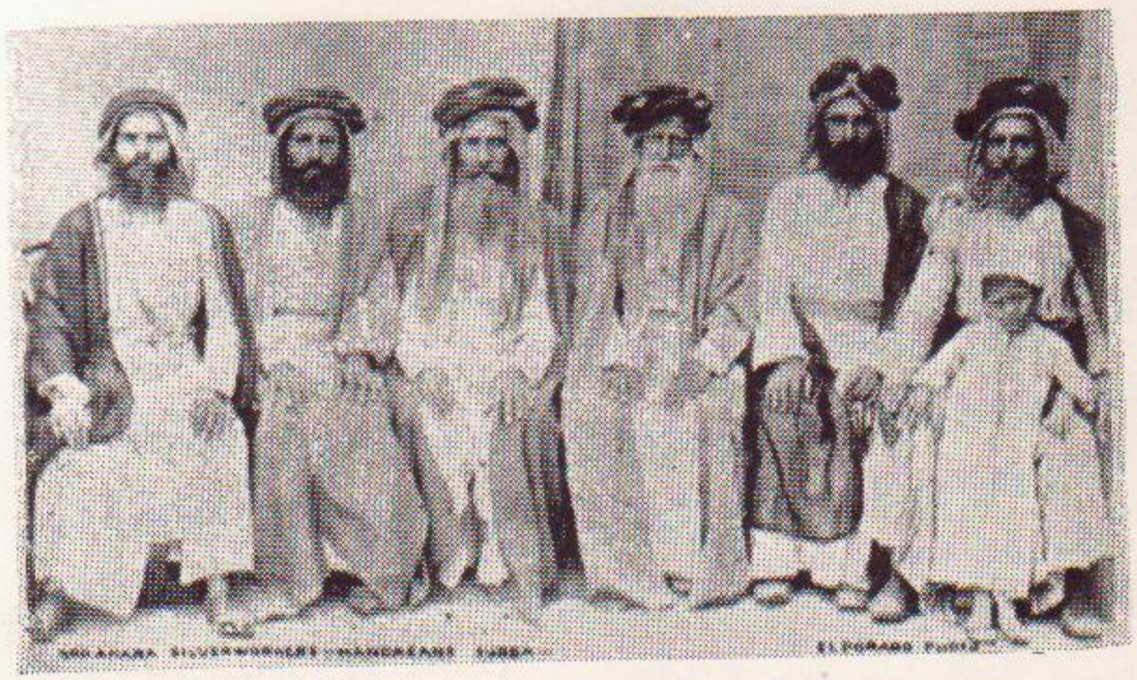

علماء الصابئة المندائية وشيوخهم البارزون

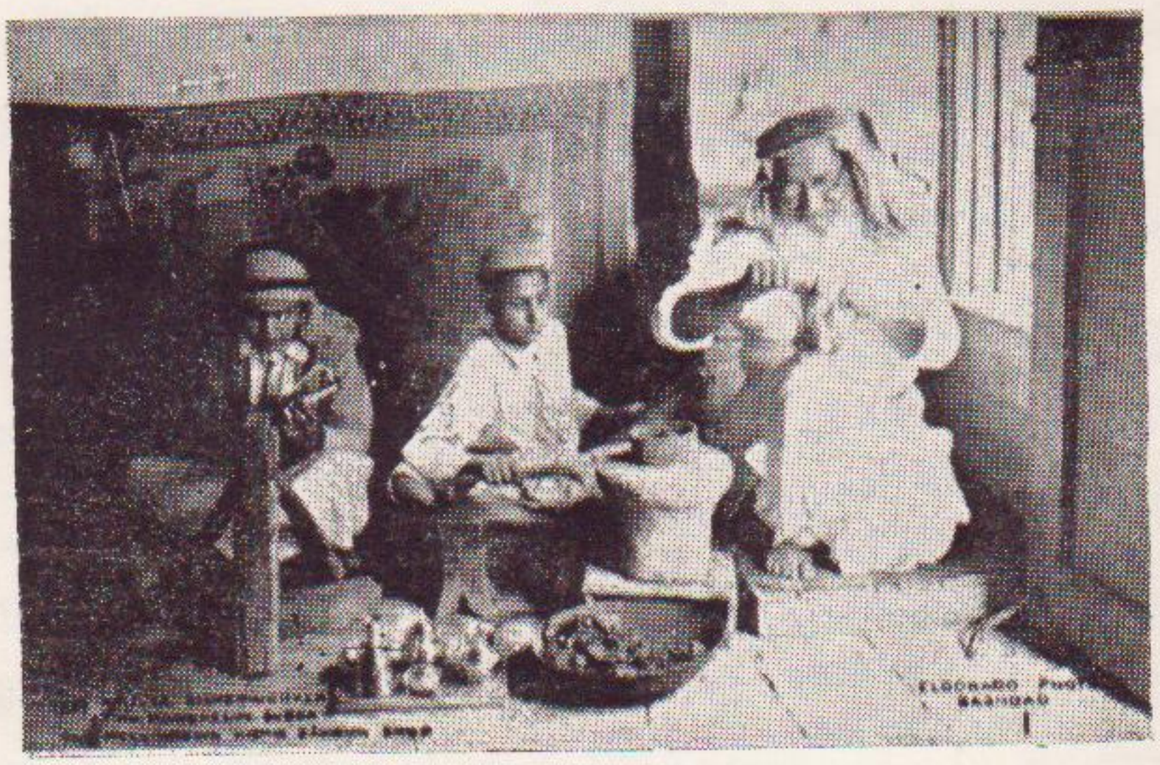

صياغة الميناء عند الصابئة

انظر ص (١٢٨) من هذا الكتاب

أبوه إلى سبعة اظهر ايضاً ، وان لا يتزوج هو من ثيب بصورة مطلقة . كما أباحت هذه الشريعة للصابئية ان تدخل في هذا السلك إذا استوفت الشروط التي يجب ان يستوفيها رجل الدين ، ولكنها لا تمارس اعماله الدينية ولا تقوم بواجب ديني نحو الطائفة (١) .

وينقسم هؤلاء الرجال الدينيون ـ بحسب رتبهـــم ـ إلى خمسة أقسام ، يستطيع المنتمى اليها ان يتدرج فيها حسب الأصول والشروط بعد ان يدرس دراسة خاصة ويقوم برياضة روحية خاصة ، يعقبها امتحان خاص ، وهذه الأقسام هي :

١ ـ الحلالي

ويسميه العامة (الشماس) هو من تحدَّر من صلب عائلة « حلاليـــة » واقتصرت دراسته على بعض كتب الدين الأولية ، وتعمد التعميد الخاص بهذه الطبقة ، ثم نذر نفسه للسير في الجنازة ، وفي إقامة سنن الذباحة للعامة ، فإذا تزوج « ثيباً » سقط من مرتبته الدينية ، ومنع من ممارسة وظائفه المذكورة هو وأولاده وأحفاده من الثيب إلى ثلاثة أظهر أللهم الا إذا تعمد هو وزوجته

---

(١) « أما سيرة المتدينين من الصابئة فإنهم (كأقلية) أهل صلاح وزهد وحسن سمت، قريبون من الخير، بعيدون من الشر ، أهل تعفف وإمساك ، متواضعون شديـــدو الاحتشام حتى لا يرفع أحدهم صوته في التكلم ، ولا يشير بيده ولا يتحرك وهو يتكلم ، ولا يغضب ولا يقابل شتيمة بمثلها ، ولا لطمة بمثلها ، بل إذا شُتم او ضُرب فعليه أن يذهب إلى خصمه ويصالحه مهما كانت منزلته من منزلته . وهم يقومون لكل من سلم عليهم أياً ما كانت حاله وسنه حتى السائل .. وأما زيهم فلباسهم أبداً البياض ولا يجوز لهم أن يلبسوا الملوَّن ديناً ولا يقصون شعورهم ولا لحاهم ، وهم ملازمون للطهارة والنقاوة التامة ولذلك يجب عليهم أن يتعمدوا في كثير من الأحوال التي يرون انهم بها يتنجسون .. الخ » .

مجلة البيان ص٢٩٠ (القاهرة ١٨٩٧)

المذكورة (٣٦٠) مرة فيحق له ممارسة اعماله السابقة . اما اذا كان متزوجاً من غير ثيب ثم تزوج من ثيب فان اولاده من زوجته الاولى يحتفظون بمرتبة « الحلالي » حتى يسقطون منها بأن يفقدوا أحد حواسهم او يتزوجوا ثيّبات

اما كيفية سير الحلالي في الجنازة فسيأتي البحث عنه في موضع آخر، واما كيفية اقامته هذه السنن فهي ان يلبس (الرسته) و (السفيفة) (١) وان يحضّر مقداراً من القصب او البردي او الحلفاء ، وينظفه في الماء الجاري ، ثم يطهر الذبيحة في الماء الجاري ايضاً بأن يغمسها فيه ثلاث مرات ، ثم يطرحها على القصب ، ويقرأ عليها اذكاراً دينية خاصة (٢) ثم يشرع في ذبحها مستقبلا الشمال . ولا يسمح لأحد ان يمس الذبيحة لأنها تنجس باللمس .

أما ذبح الدجاج فيختلف عن ذبح الأنعام اذ لا يصح فيه أن توضع الذبيحة حال ذبحها وبعده ، على الأرض ، إنما يغمسها (الحلالي) في الماء الجاري ثلاث مرات ثم يذبحها وهي في يده ، ثم يلوي رقبتها حتى يستنزف آخر قطرة من دمها ، وبعد أن يرشّ قليلا من الملح على مذبحها يسلمها بيد صاحبها ، ليرميها في القدر المعد لطبخها مباشرة بعد تدريخها (٣) لأن

---

(١) الرستة رداء ديني يتوجب لبسه على كل من يباشر أمراً دينياً مهما كان طفيفاً، ويتألف من سبع قطع بيض وهي : العمة والنصيفة « للرأس » والثوب والسروال «للجسد» والهميانة والدشة « للحزام » والكابوع ـ بالكاف الفارسية ـ «وهو كالروب يغطي الجسم بأسره » .

(٢) يقولون في الذبح ما ترجمته : « بسم الله الحي القيوم . الله خلقك وجبرائيل ذبحك. كل نفس تأكل منك تحيي وتقدس . بسم الله الله اكبر » .

(٣) المراد بالتدريخ هنا إمرار الدجاجة فوق نار مستعرة ثلاث مرات تقرأ خلالها بعض الأوراد ثم توضع في القدر .

أما الخراف فيجري تدريخها بإمرار شعلة من النار على ثلاثة مواضع منها : الرأس والبطن والأطراف مع تلاوة الأوراد المقررة .

وضعها على الأرض ينجسها ، كما انها تنجس إذا لمسها أحدهم . وإذا سهى « الحلالي » قطعة من قطع « الرستة » السبع او سقطت منه اثناء الذبح، حرمت الذبيحة ووجب إلقاءها في الماء .

وكما لا يجوز للصابئة ذبح الذبيحة المصابة بإحدى العاهات : كالعوراء والشلاء ومشقوقة الاذن ، ومكسورة القرن ، ونحو ذلك ، كذلك لا يجوز لهم ذبح الدجاجة المعتلة بإحدى العلل: كالعور ونحوه. وعلى كل يشترط حضور شاهد « ويسمونه إشكنده » ليشهد رسوم الذبح في جميع الأحوال وهو حافي القدمين ، ماسكاً كتف « الحلالي » بيده اليمنى ، ولابساً الحلة الدينية المعروفة بـ « الرسته » . وقد يكون هذا الـ (إشكنده ـ الشاهد) طفلا وقد يكون غلاماً يافعاً .

ويحرم الذبح بعد غروب الشمس ، وقبل شروقها، إلا في أحد أعيادهم وهو العيد الديني المسمى بعيد البنجة ، وهو عيد يستمر خمسة أيام ، كما يدل على ذلك اسمه المأخوذ من اللفظ الفارسي ، وفيه يتساوى الليل والنهار . فإذا ذبح (الحلالي) ذبيحة غير مستوفاة لهذه الشروط او في غير هذه الأوقات ، فإنه يسقط (اي يأثم) ويتوجب عليه التعميد للتكفير عن خطيئته .

٢ً ـ الترميـــدة

يتدرَّج (الحلالي) إلى درجة (ترميده) إذا فقه الكتابين المقدسين (سدرا دشماثا) و (انياني) اي كتابي النفوس والأذكار ، او حفظ قسما كبيراً منهما، وبعد ان يجري الرسوم الخاصة لهذا التدرج وذلك بأن يتطرَّس (١) اي يتعمد

(١) تطرس المؤمن إذا تعمد . وتطلق كلمة « الطراسة » عند المندائية على التعميد الذي يجري لمن يدخل في سلك رجال الدين أو لمن يرتقي من منصب ديني إلى منصب آخر أرفع منه.

بالارتماس في الماء المتصل ببئر نابعة عند الـ (منـــدي) ويبني له عريشاً من القصب النظيف يقال له المجلس ، يحضره طبقة من رجال الدين ، من درجة مماثلة للدرجة التي يريد الانخراط في سلكها ، ومن درجة كنزبرا فيمكث معهم سبعة ايام كاملات لا تغمض له فيها عين ، خشية أن يتطرّق الشيطان اليه فيحتلم ، ويفسد عليه عمله ، لأن الاحتلام عندهم دليل على عدم كفاءة الرجل (الحلالي) إلى هذه الدرجـــة (الترميدة) ولهذا السبب نراه يضطر الى الإكثار من تلاوة الكتب ، والأدعية ، وإقامـــة الولائم والأفراح ، ودق الطبول والأبواق ، حتى تنتهي المدة المذكورة ، ومنهم من يحتفظ بقنفذ ، وهو حيوان صغير ذو أشواك ، فيطلقه عليه إذا ادركته سنة من النوم فينتبه من شدة الألم ويحاذر الوقوع في مثلها . فإذا أتم المدة كاملة الشروط ، أصبح (ترميده) أما مجلسه المذكور فيسمى (شخنتا) وهو مجلس خاص كالصيوان ينشؤونه لهذه الغاية فقط ، فإذا تم الغرض من إنشائه هدموه فوراً .

ويجوز (للترميده) أن يعقد على المرأة الثيب ، إذا كان تقيـــاً ، حسن السمعة والسيرة ، فتنحصر وظيفته في العقد على الثيبات ، ويحرم عندئذ من الارتقاء إلى درجة (كنزبرا) ولا يمارس أعمالا دينية غير العقد المذكور ، فلا يذبح ، ولا يمشي في جناز ، ويسمى عندئذ (الأبيسق) ـ بالتصغير ـ او (كنزبرا من الدرجة الثانية).

٣ً ـ الكنزبرا Al Qanzbra

لا بد للترميده الذي يريد أن يرتقي إلى درجة (كنزبرا) أن يكون مطلعاً على كثير من التفاسير والشروح الدينية ، وحافظاً لكتاب (الكنزا) ـ كتابهم الرئيس ـ وأن يكون متزوجاً وغير عقيم ، وسبق له أن عقد مهراً لـ (ترميده)

«الترميدة» الشيخ فرج بن الشيخ سام بلباس «الرسته»

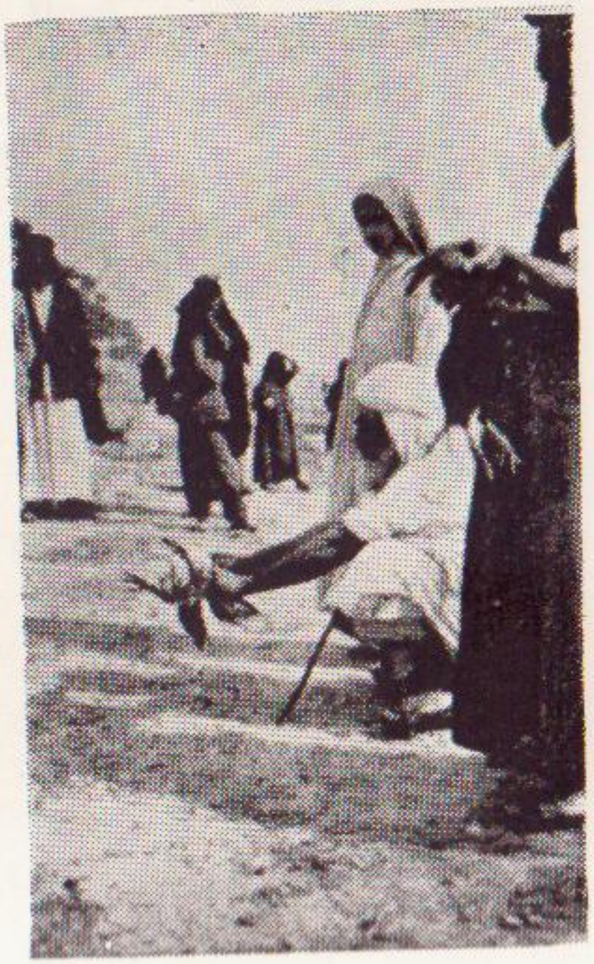

« الحلالي » يذبح طيراً

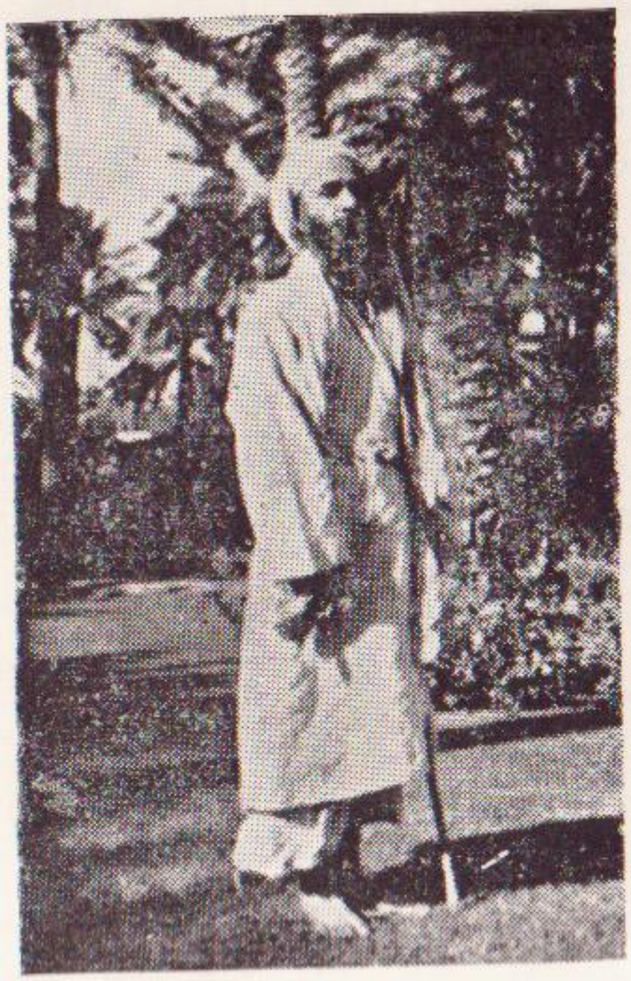

«الكنزبرا» الشيخ عبدالله بن الشيخ سام بلباس «الرسته»

من قبل ، فإذا لم تكن له زوجة وذرية لا يصح له أن يصبح «كنزبرا» وإذا ارتقى إلى هذه الدرجة ، وجب عليه الانقطاع عن مواقعة زوجته حتى يعقد مهراً آخر لعالم من درجة (ترميده) فتباح له المواقعة التي منع عنها ، كما يشترط عليه أن لا يكون قد عقد على ثيب ما ، لأن العقد على الثيبات من اختصاص « الابيسق » أي « الترميده » الذي وقف نفسه للعقد على الثيبات ـ كما أسلفنا ـ فتسمى بهذا الاسم .

أما الرسوم التي يجب عليه أن يجريها لذلك ، فهي إقامة عريش من القصب والطين ، وسعف النخيل النظيف ، يسمونه « شخنتا » على مقربة من بئر متصلة بماء جار عند ا « مندي » يتطرّس فيها بمشهد من رجلين من الدرجة التي يسعى اليها ، واثنين آخرين من درجته الأصلية « ترميده » فإذا أتم هذه الرسوم ؛ أصبح «كنزبرا» أي مفسر كتاب الكنزا ، أو صاحب الحق في تفسير هذا الكتاب الرئيس المقدس . على أن لا يتم ذلك إلا في عيد البنجة . والعامة تسمي الكنزبرا « القس » ولا تقتص منه شرعاً إذا قتل أحد أفراد الطائفة لأنه وكيل الرئيس الإلهي على الطائفة .

وليس بين الصابئة اليوم غير عدد محدود « لا يتجاوز عدد الاصابع في اليد الواحدة » من أرباب هذه الدرجة (١). أما الدرجتان: الرابعة، والخامسة اللتان سيأتي الكلام عليهما ، فلم يبلغ اليهما أحد في هذا العصر ، لعدم توفر الشروط المطلوبة لهما في أحد من الصابئين الحاليين .

---

(١) هم اليوم ثلاثة فقط وهم ١ ـ الشيخ عبد الله بن الشيخ سام ويقيم في بغداد ٢ ـ الشيخ دخيل بن الشيخ عبدان ويقيم في ناصرية المنتفق ٣ ـ الشيخ نجم بن الشيخ زهرون ويقيم في البصرة .

٤ً ـ الأرشمة

« الارشمة » كلمة منداثية معناها « رئيس الامة » وصاحب الكلمة النافذة فيها ، وليس بين الصابئة اليوم من بلغ هذه الدرجة بعد .

ويشترط للكنزبرا الذي يريد الارتقاء الى درجة « الأرشمة » أن يكون عالماً كبيراً ، وشخصاً ذا أهلية وكفاءة ممتازتين ، تجعلانه جديراً بهذا المنصب الخطير.

أما الرسوم التي يجب أن يجريها طالب هذه المرتبة الخطيرة فلا تختلف عن تلك التي يؤديها « الترميده » الذي يريد التدرج الى درجة «كنزبرا» الا في عدد الأشخاص ، الذين يحضرون اقامة الرسوم من طبقته ، فإنه يشترط ان يكون عددهم سبعة وأن يكون هؤلاء السبعة ممن استفادوا من علمه ، و « تتلمذوا » عليه ، كما يشترط ان يحضر هذه الرسوم علماء آخرون من درجة « ترميده » ليقرأوا قراءة خاصة تتعلق بموضوع صيرورته أرشمه ، فإذا لم يتوفر العدد المطلوب من الدرجتين « الكنزبرا » و « الترميده » لا يقبل ترشيح أحد الى درجة « ارشمة » .

٥ً ـ الربّاني

بعين الشروط التي يجتاز بها « الكنزبرا » إلى درجة (ارشمه) يرتقي الأرشمه إلى درجة « ربّاني » إلا أنه يختلف بعدد الشهود ، الذين يحضرون طراسته « تعميده » فإنه يشترط أن يحضر إقامة هذه الرسوم الدينية سبعة أشخاص من كل من الطبقات الثلاث : الترميده ، والكنزبرا ، والارشمة، ويتلو الشهود المذكورون ، لدى إقامة هذه الرسوم ، أذكاراً وأدعية خاصة في أيام معلومة العدد ، فإذا ارتقى « الأرشمة » إلى هذه الدرجة ، فانه يرتفع

الى عالم الأنوار « آلمي دنهورا » ليسكن فيه ، فان اقتضى تبليغ طائفته بعض الشرائع والسنن الدينية ، نزل الى الأرض لأداء هـذه الرسالة ثم عـاد الى عالمه النوراني .

ويقول الصابئون انه لم ينل هذه المرتبة من السابقين حتى الآن الا يحيى ابن زكريا عليه السلام ؛ وهو النبي المسمى في لغتهم المندائية « يهيه يهانه » كما انه لا يجوز وجود شخصين من هذه الدرجة في وقت واحد ؛ ويقولون ان يحيى هذا « لم يكن رسولا بل نبياً خاصاً بهم » .

طعام رجال الدين

لا يجوز لرجل الدين « الصابئي » أن يأكل من دار غير داره ، الا اذا كان قد عمّد صاحبها بيده ، ولا من يد امرأة غير معمدة من قبله ، أو إذا كانت حائضاً او نفساء ، وانما يختص بزوجته التي عمدها هو ، واعتمد على معرفتها برسوم الطعام ؛ والغسيل ، وإحضار ماء الشرب، فتتولى هي احضار طعامه ، وشرابه ، وسائر ما يحتاج اليه ، برسوم خاصة ، فان لم تكن عنده زوجة ، فيتولى هو بنفسه اعداد الطعام والشراب لنفسه .

وعلى رجل الدين أن لا يمارس أي عمل ديني إذا طرحت زوجته ، أو كانت نفساء ، أو حائضاً ، حتى تنتهي العدة الشرعية لهذه الأمور ، وتتعمد حسب الأصول أي أنه يكون مجمّداً خلال هذه الأحوال الموقتة .

وقد حضر الكنزبرا ، الشيخ دخيل في منزلنا في تموز من سنة ١٩٣٠ فامتنع عن أكل ما قدم اليه من طعام ، كما انه امتنع عن تناول أية جرعة من الماء قدمناها اليه

رغم ظمئه الشديد (١) وقد ذكر لنا انه عندما يتناول الطعام في بيته ، فإنه يضع منديلا خاصاً على صدره ، فإن سقط شيء من الطعام على غير هذا المنديل ، ارتكب إثماً يكلفه التحرّر والتحلل منه جهداً عسيراً ، ولاسيما إذا كان الفصل شتاءاً ، والطقس بارداً إذ يجب عليه أن يتعمد في النهر الجاري .

ولرجال الدين هؤلاء ذبح خاص ، يختلف عن ذبح العامة من أبناء الصابئة ، وهم يتولونه بأنفسهم بأوضاع مخصوصة ، وآداب يتوارثونها كابراً عن كابر ، ويتشددون كثيراً في أن لا يمس ذبيحتهم أحد غيرهم ، وأن لا يلقي شيء عليها ، حتى وإن كان عود ثقاب ، او حجر ، أو قطرة ماء من صارية سفينة ، وقد يجوز لهم ان يذبحوا لمن كان من طبقتهم ، كما انهم يتولون تعميد أبناء طائفتهم ، وتعليمهم الأمور الدينية ، والعقد على العذارى وعلى الثيبات ، بحسب درجاتهم الدينية ، ويحضروا تغسيل موتاهم ، وتكفينهم ، وحملهم الى مثاويهم ، وقبرهم في لحودهم ، ونحو ذلك من الطقوس الدينية والسنن الاجتماعية الخاصة بهذا الفريق من الناس .

معاقبة رجال الدين

اذا وسوس الشيطان للعالم الصابئي (من درجة كنزبرا) فزنى ثم اعترف بجرمه وتاب واستغفر ؛ أو اذا اقيمت الحجة على ارتكابه هذا الجرم فاعترف وأظهر الندم ، هبط الى درجة (ترميده) ووجب تعميده (٣٦٠) مرة من قبل

---

(١) مرض الكنزبرا الشيخ جودة في العمارة فراجع الدكتور السيد حسن الحسني فوصف له هذا دواء ناجعاً ولكنه امتنع عن أخذه قائلا : انه يفضل الموت على شرب الدواء وقدمات فعلا دون أن يتناول جرعة من الدواء المذكور . وأكد لنا الكنزبره الشيخ دخيل ان رجال الدين يفضلون الموت على أخذ أي علاج من يد أي أحد من الأطباء الا انهم قد يتساهلون — اليوم — فيسمحون بحقنهم بالابر الشافية تحت الجلد اذا ضمنوا الشفاء .

سبعة من المؤمنين فيباح له استعادة مرتبته « الكنزبرا » بالاسم لكنه لا يزاول غير أعمال « ترميده » .

واذا ارتكب « الترميده » مثل هذه الخطيئة واعترف بها ، أو أقيمت الحجة عليه فتاب واستغفر ، هبط الى رتبة « حلالي »ووجب تعميده(٣٦٠) دفعة بحضور سبعة من المؤمنين فيسمح له بالاحتفاظ بدرجتـــه (ترميده) ولكنه لا يستطيع ان يزاول غير اعمال (الحلالي) .

اما اذا ارتكب (الحلالي) هذا الجرم فأقيمت البينة عليه ، او اعترف بها وطالب بالغفران وجب تعميده (٣٦٠) مرة بحضور سبعة مؤمنين ومنع من ممارسة اي عمل ديني في المستقبل .

فاذا ارتكبت زوجة (الكنزبرا) او زوجة (الترميده)او زوجة (الحلالي) مثل هذه الجريمة النكراء فان اعترفت بعملها ،اواقيمت البينة عليها فاعترفت وطلبت المغفرة وجب تعميدها(٣٦٠) مرة .فان رفضت التعميد او انكرت الجريمة فانها تطرد من بيتها وتجرّد من حقوقها المادية والمعنوية كافة .

واذا أخل (المؤمن) بواجباته الدينية ، وجب ان يعمد سبع مرات في سبعة ايام بحضور سبعة من زملائه المؤمنين .

واذا سها عن واجب ديني ، وجب ان يعمد ثلاث مرات في ثلاثة ايام بمحضر من ثلاثة مؤمنين .

اما إذا اكل لحماً غير نظيف فانه يصبح (نازلا) ووجب عليه ان يعمد مرة واحدة من قبل مؤمن واحد .

واذا قص احدهم شعر (الكنزبره) او (الترميده) وجب تعميد هذا الروحاني (٣٦٠) مرة بحضور سبعة من رجال الدين ممن هم في مرتبته الدينية

حتّى يتمكن من استئناف وظائفه الدينية (١) فان رفض ذلك سقط وحرم من ممارسة اي عمل ديني حتي يموت .

ولا يظن القارىء الكريم ان (التعميد) عقوبة طفيفة يحتملها كل احد في سبيل تحقيق شهواته النفسية . ان التعميد عملية شاقة تتطلب الارتماس في الماء الجاري في كل مرة ، صيفاً أكان الوقت ام شتاء ،وتتطلب الخضوع الى رسوم وآداب خاصة يستغرق اجراءها نحو ثلاث ساعات ، وهي الى ذلك تتطلب ارضاء المؤمنين وكسب موافقتهم لحضور التعميد في كل مرة .

---

(١) حدث خلاف بين الكنزبره الشيخ عبد الله وبين أحد افراد طائفته فأراد هذاالفرد أن ينتقم من رئيسه الديني فتصدّى الى نتف بعض شعرات من لحيته في اول كانون الاول من عام ١٩٥٦ ليسقطه من منزلته الروحانيـــة فاحتمى الشيخ بصاحب حانوت مسلم أجاره فأنقذه من تهلكة محتومة وسيق المعتدي الى « محكمة جزاء بغداد » فنال عقابه .

الصوم والصلاة

الصوم

لم تخل الشرائع القديمة من ذكر الصوم وفرضه ،ومن تعيينه لمدة معلومة ففي أخبار قدماء البابليين ، والآشوريين ، حتى المصريين، ماينبيء بأن الصوم عبادة عرفها البشر منذ القدم ، وقد جاء الاسلام مؤيداً هذه الفريضة بقوله عز من قائل « يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كما كُتِبَ على الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونْ » (١) .

أما شريعة الصابئين فنظراً لقدمها ، وانقطاع القائمين بهـا عن دراسة العلوم والفنون ، فتكاد بعض طقوسها ورسومها أن تذهب أو تتغير . فبينما نجد ابن النديم ، المؤرخ المتوفى حوالي سنة ٣٨٥هـ (٩٩٥م) يذكر لنا فرض الصوم عند الحرانية من الصابئين حيث يقول :

« والمفترض عليهم من الصيام ثلاثون يوماً : أولها لثمان مضين من اجتماع آذار ، وتسعة أخر أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول ، وسبعة أيام أخر أولها لثمان مضين من شباط ، وهي أعظمها ، ولهم تنفل من صيامهم ، وهو ستة عشر وسبعة وعشرون يوماً » (٢) .

ومثل ذلك ما رواه ابن العبري المتوفى عام ٦٨٥هـ (١٢٨٦م).

« والصيام المفروض عليهم ثلاثون يوماً : أولها الثامن من اجتماع آذار ، وتسعة أيام أولها التاسع من اجتماع كانون الأول وسبعة أيام أولها ثامن إشباط » (٣)

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٢ (٢) الفهرست لابن النديم (القاهرة ١٣٤٨هـ) ص ٤٤٣

(٣) تاريخ مختصر الدول (بيروت ١٨٩٠م) ص ٢٦٦ .

إذ نجد الصابئة المندائية (الحاليين) يحرمون الصيام في طقوسهم الدينية ويرون انه من باب تحريم ما أحله الله ، وإن كانوا يتظاهرون بـــه في أول رمضان من كل سنة مجاراة لمجاوريهم من المسلمين ، كما كان يفعل أبو إسحق الصابئي مع الشريف الرضي (١) ونجدهم أيضاً يمتنعون عن أكل اللحوم ٣٦ يوماً ، مقسمة بين أيام السنة ، على نحو امتناع النصارى عنها . وكل هـــذه المتناقضات في عقائدهم إنما جاءت اليهم من تفرقهم ، ومن جهـــل علمائهم بما يحدث في الفنون ، وما يصل البشر اليه من الاكتشافات والعلوم .

الصلاة

الصلاة عند المتدينين رمز الخضوع والانقياد لأوامر الشريعة ، فالمصلي يؤدي بحركاته وأعماله فروضاً إعتقادية تدل عليها تلك الحركات أو هاتيك الأعمال .

وإذا كان الصوم قديماً وموجوداً في شرائع الأمم البائدة ، فإن الصلاة اقدم منه بكثير . فقد صلى البشر القديم وانحنى أمام مظاهر الطبيعـــة ، حينما أرهبته وأخافته ، وهو ما زال حتى الآن ينحني تعظيما واجلالا امام ما يتصوره من القوى المؤثرة في هذا الكون .

وقد تكون « الصابئة » من أشد الأمم محافظة على طقوسهم وعاداتهم ، لذلك لا نستبعد أن تكون صلاتهم اول وضع عرفـــه البشر للصلاة ، وفي تأدية فروض العبادة .

---

(١) « وكان الصابي على دين الصابئة ــ انظر هذه الكلمة ــ متشدداً في دينه ، وقد الح عليه عز الدولة بأن يسلم فلم يفعل . وكان يصوم شهر رمضان مع المسلمين ، ويحفظ القرآن أحسن حفظ » . دائرة معارف وجدي ص٤٣٢ ــ ٥

أما الأوقات التي خصصوها لتأدية هذه الصلاة فتدلنـــا بوضوح على عبادة البشر الأولى ، التي كان يقدس بها مظاهر الطبيعة .وتشتمل إقامة هذه الصلاة على رسوم وطقوس أضيفت عليها على توالي الأزمنة، تبدأ بالطهارة والاغتسال وتسمى « الرشامة » وتنتهي بتأدية الصلاة واليك البيان :

الطهارة

لا تصح الصلاة عند الصابئة بدون رشامة (طهارة) مثلهم في ذلـــك كمثل بقية الأمم المتمدنة ، وهذه الطهارة تفرض على الذكر والأنثى على حد سواء ، وكما تمنع الجنابة من اتيان الصلاة ؛ ومن تأدية الفروض الدينية، عندنا معاشر المسلمين ، كذلك تمنع عندهم من تأدية الصلاة .

أما غسل الجنابة فمشروط عندهم أن يكون بالماء الحي ، وهو الماء غير المنقطع من مجراه الطبيعي . فماء الحمام مثلا في نظرهم ليس بحي لانقطاعه عن مجراه (١) كما انهم يشترطون غسل الجنابة قبل أن يأكل المجنب ، أو يشرب أو يدخن ، أما كيفيته فهو الارتماس بالماء الحي ثلاث دفعات ، من دون تلاوة شيء ما ، عدا نية الاغتسال من الجنابة ، إذ لا تجوز القراءة لمن كان على جنب .

ولكن الغسل وحده لا يكفي عند الصابئة لإقامة الصـــلاة ، على نحو ما عند المسلمين ، فلا بد من ضم الوضوء اليـــه ، وهو يجري عقب الغسل

---

(١) لما كانت ظروف الصابئة المعاشية اضطرتهم إلى الانتقال من القرى والبلدان، القائمة على ضفاف الانهر ، الى التي لا ماء جار فيها ، فقد جوز علماؤهم مؤخراً الاغتسال بميـــاه الحنفيات على اساس انها متصلة بخزانات متصلة بمياه جارية في الانهر ، والسواقي ، والآبار التابعة ، كما جوزوا جلب الماء الحي من بعيد ، وصبه على الجنب للاغتسال من الجنابة .

بأوضاع خاصة .

الوضوء

يشد المتوضىء حزامه ، ثم يجلس على النهر متجهاً نحو الجدي ، ويتلو الرخصة (النية) بلغتهم المندائية فيقول ما معناه :

(السلام عليك أيها الماء الجاري من تحت عرش الرب الذي يحيي بك كل ما في الأرض) (١) .

ثم يشرع في الوضوء مبتدئاً بغسل اليدين الى المرفقين وهو يقول ما محصله.

(غسلنا أيدينا المفتوحة بالإيمان ، ناطقين بنطق صحيح ، وقلب مؤمن بعنصر الأنوار) .

ثم يغسل وجهه ثلاث مرات ، بأن يغترف الماء من النهر ويصبه عليه وهو يقول:

(تبارك اسمك وسبحان اسمك ربي الحي ، تجري هذا وتكوّنه من نفسك دون أن يعلم أحد بذلك) .

ثم يبل يده في الماء ، ويجمع أصابع يده اليمنى ، ويمررها على جبهته ، من مبدأ صدغه الأيمن حتى نهاية صدغه الأيسر ، وهو يقول ما ترجمته :

(رسمت برسم الحياة) .

ثم يدخل سبابتيه في أذنيه ، ويكرر ذلك ثلاث مرات القول (اسمع صوت الحياة) .

---

(١) وهذا هو النص بالمندائية :

« بشيهون أدهي ربي اسوتا وزكوتا نهويلك يا اب ابوهن ملكـــا برياويس يردنـــا ربا ادمياهي » .

ثم يستنشق ثلاثاً ويقول (أشم رائحة الحياة) .

ثم يتمضمض مرة واحدة ويقول (من المغمورين تسبيحاً بالحياة) .

ثم يأخذ قليلا من الماء برؤوس أصابعه العشرة فيدقها على ركبتيــه ، فساقيه قائلا :

(ركبتي الساجدة الى الرب الحي) .

ثم على ساقيه ، مرة ثانية ، وهو يقول :

(رجلي ماشية نحو شريعة العهد والإيمان) .

وبعد ان ينتهي من الوضوء يقول ما معناه وترجمته :

(رسم علي اني لست من عبدة النار ؛ ولا من المختنين ، ولا من المسيحيين امسح رسمي بماء الحياة الجاري في النهر من عالم الأنوار) .

ثم يقذف ما تبقى من الماء برأسي سبابتيه ثلاث مرات ، كأنه يطرد النجاسة عن نفسه ، ويقول :

(اني فلان بن فلان أتعمد عماد بهرام روربي ، الملك الصالح من الملائكة الصالحين ، تعمدني وانظرني واصعدني الى العلى) .

ثم يغسل رجليه ويقول : (رجــلي اياديهم السبعــة والاثني عشر لا يتسلطون عليّ) اه .

مفسدات الوضوء

اما مفسدات الوضوء فهي : البول ، والغائط ، وخروج الريح ، ولمس الحائض ، والنفساء ، واللحم الاجنبي ، واكل شيء ما قبل اتيان الصلاة . أما رعف الانف ، او خروج الدم من الفم ، او من موضع آخر من الجسم فانهما لا يفسدان الوضوء ، وانما يستلزمان غسل موضع الــدم . والوضوء

واجب لكل صلاة ، فلا يجوز الجمع بين صلاتين بوضوء واحد وإن كان على طهور.

الصـلاة

وتقتصر صلاتهم على الوقوف ، والركوع ، والجلوس ، على الأرض، من دون سجود . وتستغرق تلاوة الأذكار فيها ساعة وربع ساعة تقريباً ، وهي تؤدى ثلاث مرات في اليوم : قبيل طلوع الشمس ، وعند زوالهـا ، وقبيل غروبها ، أي في الصبح ، والظهر ، والعصر ،وتستحب الصلاة جماعة في أيام الآحاد ، وفي الأعياد أيضاً .

وتجري الصلاة بأن تبدأ بالأذان ، وهو عبارة عن أذكار دينية ، تتلى بين الحاضرين بلغتهم المندائية ، بدون رفع صوت ، وبدون الوقوف عـلى شاهق - كما يفعل المسلمون - ويتوجه المصلي عندهم إلى الجدي دائماً ،وهو بلباسه الطاهر ، حافي القدمين ، رافعاً يديه وقليلا من رأسه ، مع انحناء قليل ثم يتلو سبع قراءات يمجد فيها الرب ، ويدعوه بأسمائه الحسنى ، ويستمد منه العون والشفاء من الأمراض ، ورفع الكوارث عن ملته وتيسير الاتصال له بعالم الأنوار ، (آلمي دنهورا) .

وترى الصابئة (المندائية) أن فرض الصلاة كان أولا على آدم أبي البشر بسبعة فروض ، يصلي خمسة منها في الأوقات التي يؤدي المسلمون فيها صلواتهم وهي الصبح ، والظهر ، والعصر ، والمساء ، والعشاء ، واثنتان تؤديان في غير هذه الأوقات ، إلا أن شريعة آدم هذه استمرت حـتى ظهور يحيى بن زكريا عليه السلام ، فضم بعضها إلى بعض ، وجعلها ثلاثة فروض في ثلاثة أوقات ، كما هو جار الآن .

هذه هي صلاة الصابئة في الوقت الحاضر، وقد ذكر ابن النديم، المتوفى نحو سنة ٣٨٥هـ (٩٩٥م) نوعاً من الصلاة كان يدين به صابئة حران ، الذين ذكرنا أمرهم في موضع آخر ، يختلف عن صلاة صابئة البطائح بعض الاختلاف . قال :

« المفترض عليهم من الصلاة في كل يوم ثلاث : اولها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة ، او اقل ، لتنقضي مع طلوع الشمس ، وهي ثمان ركعات ، وثلاث سجدات في كل ركعة . الثانية إنقضاؤها مع زوال الشمس ، وهي خمس ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة . الثالثة ، مثل الثانية انقضاؤها عند غروب الشمس . وانما ألزمت هذه الأوقات لمواضع الأوتاد الثلاثة التي هي : وتد المشرق ، ووتد وسط السماء ، ووتد المغرب . ولم يذكر أحد منهم ان من الفرض صلاة لوقت وتد الأرض . وصلواتهم النافلة ؛ التي هي بمنزلة الوتر في لزومه للمسلمين ، ثلاث في كل يوم : الأولى في الساعة الثانية من النهار ، والثانية في الساعة التاسعة من النهار ، والثالثة في الساعة الثالثة من الليل ولا صلاة عندهم إلا على طهور » (١) .

ومثل ذلك ما أثبته « ابن العبري » المتوفى سنة ٦٨٥هـ (١٢٨٦م) اذ قال:

والمفترض عليهم ثلاث صلوات : اولها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة او اقل لتنقضي مع الطلوع ، ثماني ركعات في كل ركعة ثلاث سجدات ، والثانية انقضاؤها مع نصف النهار والزوال ، خمس ركعات في كل ركعة ثلاث سجدات ، والثالثة مثل الثانية تنقضي مع الغروب » (٢) .

---

(١) ابن النديم في « الفهرست » ص٤٤٢ – ٤٤٣ .

(٢) ابن العبري في « مختصر تاريخ الدول » ص٢٦٦ .

التعميد وانواعه

« التعميد » طقوس ورسوم خاصة يكتسب بها الشيء المعمّدصفة دينية مقدسة ؛ فالطعام مثلا يحل بعدالتعميد ، والطفل يطهر به ، والمذنب يكتسب الغفران بواسطته ، والآكل من ذبيحة غريب ، أو من لحم محرم ، يحل إثمه عن طريق إجرائه ، وهكذا القول في أحوال كثيرة غير هذه . فهذه الصفات الجديدة إنما اكتسبها الأشخاص ، واتصفت بها الأشياء بواسطة التعميد . وهو لا يكون إلا في الماء الحي الجاري فماء البحر مثلا لا يسمى «حياً» لوجود أملاح فيه تفسد حيويته .

ولما كان الماء أساس الحياة عندالصابئة ـ كما هو عند بقية الأمم والطوائف الأخرى ـ فإن طقوس الصابئة الدينية ، ورسومهم الاجتماعيـــة لا تتم إلا بالارتماس في الماء الجاري . وهم يلجأون اليه في ثلاث حالات : في الرشامة والطماشة ، والمصوتا « وهو الصباغة » .

أما « الرشامة » فهي وضوء الصابئي قبيل طلوع الشمس ليؤدي فريضة الصلاة دون أن يستعين بمؤمن أو بغيره ، نظير ما يفعله المسلمون في صلواتهم وقد سبق وصفه عند البحث عن (الصوم والصلاة) عند الصابئة فلا نعود اليه في هذا الفصل .

وأما (الطماشة) فهي الطهارة بالارتماس في الماء الجاري ثلاث دفعات متتالية دون الاستعانة بمؤمن ما أيضاً . وهذه الطهارة واجبة على الحائض ، والنفساء ، والجنب ، وعلى من لمس أحداً من هؤلاء ، أو مس أجنبياً ، أو ساهم في قبر ميت ، أو خرج من سجن ، أو رجع من سفر ، أو أبل من

مرض ، أو اكل من لحم محرم أو فاكهة لم تغسل ، أو إذا نهشتـــه حية ، أو لسعته عقرب ، أو لدغته احدى الهوام ، او اذا عضه كلب اوخنزير اوذئب فأدماه . ففي جميع هذه الحالات يجب عليه أن يطمش (يطمس) في المـــاء الجاري سواءاً أكان الوقت صيفاً ام شتاءاً ، كما يجب ان (يطمش) ايضاً عند استقباله كل عيد من أعيادهم القومية . وتستحب (الطماشة) عنداستقبال أيام الآحاد أيضاً .

ولما كانت احوال الصابئة المعاشية اوجبت تفرقهم في المدن والقرى المختلفة ، بعد ان كانوا متجمعين في دساكر وارياف متلاصقة ، وكان الماء الجاري لا يتوفر في المدن والقرى التي استوطنوها مؤخراً ، فقد أجاز رجال دينهم الاغتسال في الحمامات كما اجازوا لهم الاستعانة بميـــاه العيون النابعـــة لتحقيق هذه (الطماشة) .

واما المصوتّا Muswatta (وهو التعميد المعروف ويسمونه الصباغة) فيشترط فيه ان يكون على ايدي المؤمنين ، وفق رسوم خاصة وآداب مقررة وهو لا يجري الا في ايام الآحاد ، دون غيرها من ايام الاسبوع ، وفي ايام اعيادهم القومية ، ولا سيما في عيد البنجة ، وهذا التعميد اربعة انواع :

١ً ـ عماد الولادة ٢ً ـ عماد الزواج ٣ً ـ عماد الجماعة ٤ً ـ عماد الأعياد

وسنبحث عن كل نوع من هذه الأنواع الأربعة بقدرما وصل اليه علمنا القليل ، وتحرينا الدقيق .

١ً ـ عماد الولادة

اذا ولد المولود وجب على ولي امره ، او احد اقاربه ، ان يخبر المؤمن المختص بيوم ولادته ، وبساعة الولادة ، ليعين له الزمان والمكان ، والنجم

والطالع ، والبرج والمنزلة التي ولد فيها ، ويثبت له ـ مع مقارنة هذه الأمور ـ إسماً يدل عليه برجه ومنزلته السماوية ـ بعد مراجعة الكتاب الديني : أسفر ملواشى ـ ويكون هذا الإسم منسوباً إلى اسم والدة الطفل ، لا إلى اسم أبيه، ومحفوظاً للوليد وبلغتهم المندائية ، ولا يستعمل إلا في ثلاث حالات : في التعميد والزواج والوفاة (١) . والى هذا الاسم الديني يسمونه باسم آخر تقتضيه البيئة التي يعيشون فيها . ففي البلدان العربية يسمونه باسم عربي ، وفي غيرها من البلاد يسمونه بأسماء تلك البلاد . فبين صابئة البطائح اليوم من يسمى عبد الله ، وعبد الجبار ، وعبد الرزاق ، وتوفيق ، وفاضل ، ورشيد ، إلى من يسمى فرحان ، وغضبان ، وبهرام ، وشيت ، ويحيى ، ومسلم .

فإذا مر على المولود خمسة وأربعون يوماً ، وجب أن يعمد بعماد الولادة فيصبح الطفل طاهراً من دنس الولادة . ذلك أن تذهب به أمه في يوم أحد إلى عالم من درجة (كنزبرا) أو من درجة (ترميده) فينطلق بها إلى ساحل النهر ومعه مؤمنان : أحدهما من درجة « ترميده » والآخر من درجة «حلالي» وبعد ان يلبس الجميع لباس الاعتماد المعروف بالرسته ، يتوضأ المؤمن ويصلي على رأس الطفل صلوات يستنزل بها عليه بركات الاعتماد ، ثم يضع خاتماً من الآس الأخضر في خنصر يد الوليد اليمنى ، يسمونه « إكليلة » ويدخل في الماء الجاري إلى ركبتيه ، وبيده عصا من عود الآس ايضاً تسمى مركنة Marqana فيتبعه الحلالي حاملا الطفل ، ويخوض في الماء إلى ركبتيه ايضاً ، حتى يقف خلف المؤمن ، ويكون الجميع متجهين نحو الجدي ، حيث كان

---

(١) « واغلب الاحيان يكتبه على ورقة ويسلمها بيد الطالب المذكور ليأتي بها يوم تعميد الوليد » . المشرق البيروتية ٤/٩٢٧ لسنة ١٩٠١م

واضع هذا الكتاب

السيد عبد الرزاق حسني

امام الصفحة
٩٦

«مؤمن صابئي» يعمد «مؤمناً صابئياً»

يتجه اليه النبي يحيى دوماً ، وعندها يشرع المؤمن في تلاوة نصوص مندائية ، مستخرجة من كتبهم المقدسة ؛ ثم يغترف حفنة من الماء ويصبها على الحلالي (حامل الطفل) بثلاث وجبات قائلا للطفل بلغتهم المندائية ما معناه :

« أعمدك باسم الثلاثة الله ومندايي ويحيى يوحنا . أعمـدك معموديـة بهرام العظيم ابن روربي لتكون معموديتـك حارسة لك ، ورافعـة إياك إلى العلاء » .

ويخرج المؤمن من النهر فيعقبه (الحلالي) ويتبعهما (الترميده) فيستل الخاتم الأخضر من خنصر الطفل ، ويضعه على جبينه ، ثم يتناول مقداراً من البخور فيلقيه في مجمرة معدة لهذا الغرض ، ويتلو أثناء احتراق البخور أدعية خاصة ، ثم يتناول بضع حبات من السمسم المقشر ، المحفوظ في كيس خاص ويصب عليها قليلا من الماء (يغترفه من النهر أثناء وجوده فيه ، ويضعه في قنينة من الزجاج) وبعد أن يلتّه بأنامل يده اليمنى ، يضعه على جبين الطفل ثلاث مرات وهو يقول ما معناه :

« لقد وسمت بسمة الحياة . اسم الحياة ، واسم معرفة الحياة مذكوران عليك » .

وينحني « المؤمن » على قلب الطفل فيهمس فيه بعض الأسماء السرية ، ويذكر كل اسم على كل عقد من عقود أصابعه الخمسة (١) ثم يرفع ذؤابة لباس رأسه ، ويضعها على كل من عينيه مرات عديدة ، ويقبلها ستين مرة

(١) « وهذه الاسماء لا تذكر لاحد حتى ولا للصابئة ، وإذا قلد الكاهن رتبته يقول له مقلده الوظيفة ، حينما يصل الى تعليمه هذه السنة من ديانته : وعليك الآن ان تظهر الاسماء التي هي مذكورة في هذه الصفحة لوقت الحاجة . فيجتهد المترشح لحفظها على قلبه بدون التلفظ بها » . المشرق ٩٢٩/٤

فيصبح الطفل بعدها معمداً ، وعندئذ يرفع « الترميده » الخاتم عن جبين الطفل ويضعه على شفتيه ، ثم على جبينه مرة ثانية ، ثم يلقيه في الماء، وعندها تتم رسوم الاعتماد ويخلع الجميع ألبستهم الدينية فتأخذ الأم ولدها وتعود به إلى دارها ، بعد أن تؤدّي ضريبة التعميد الى مستحقيها وينصرف «المؤمنون» الذين قاموا بالتعميد إلى أشغالهم الخاصة (١) .

٢ً ـ عمـــاد الزواج

وهو الرسوم الدينية التي تجري للزوجين العروسين عند عقد المهر ، الذي يشترط أن يتم القران في مساء يومه ، وقد شرحنا ذلك في الفصل القادم ، شرحاً كافياً وعلى القارىء أن يتأمله ، ويدقق ما فيه من أهداف وأغراض دينية بعيدة الغور .

٣ً ـ عماد الجماعة

فرض على الصابئي أن يتعمد في كل عيد پنجة « Punja » من كل سنـــة كبيسة ، على غرار عماد يوحنا المعمدان ، ومدة هذا العيد خمسة أيام تقع في الأيام العشر الأولى من شهر نيسان الغربي عادة ؛ وهو العيد الـــذي جرت العادة فيه أن يلبس رجال الدين الألبسة البيض ، وأن يمشوا حفاة في الأزقة والطرقات ، وأن يرتمسوا في الماء الجاري ثلاث دفعات قبل تناول الطعام في كل يوم من أيامه الخمسة . ويشمل هذا الإجراء أبناء الطائفة كافة، رجالا ونساء ، كباراً وصغاراً ، لأن القصد منه التكفير عن الخطايا والذنوب التي

---

(١) « واذا توفي المتعمد في اثناء العماد ، فإما ان يتمم الكاهن السنّة إلى آخرهـــا على الميت ، وإما ان يؤتى واحد من المندائية يشبه اسمه اسم الميت ، وينهي عليه تتمة الحفـــلة الدينية » . المشرق ٩٢٩/٤

يكون الصابئي قد ارتكبها في بحر السنة المندائية عمداً أو بغير عمد .

ويجري هذا التعميد بأن يذهب الصابئي إلى رئيسه الروحاني «الكنزبرا» ويعرض عليه رغبته في إداء هذا الواجب الديني ، فينطلق به هذا إلى النهر ، ومعه مؤمن من درجه (ترميده) وأدوات الاعتماد وهي : الرسته والبخور والمركنة (Marqana) وخواتم من الآس الأخضر ، وكانونان صغيران (طريانتان) من الطين الحر ، وكاستان صغيرتان من النحاس الأصفر ، وقنينة من الزجاج وعند بلوغهم النهر يلبسون الرداء الديني (الرسته) وبعد أن يتلو المؤمنون الرخصة (النية) بلغتهم المندائية يُلبس الكنزبرا طالب التعميد إكليلا من عود الآس الأخضر في خنصره الأيمن ، وينزل إلى النهر ويغوص فيه حتى الركبتين ، ثم يقرأ بعض الأوراد والأدعية المستخرجة من كتبهم المقدسة ، ويدعو طالب التعميد إلى الدخول في الماء خلفه ، ويوعز اليه بالارتماس في الماء ثلاث دفعات متتالية ؛ وهو يغترف الماء ويرشه عليه ، ويسأله في أثناء ذلك عن اسمه الديني ، واسم أمه ، فإذا أتم الارتماس ، أصبح الرجل معمداً وخرج من النهر ، فبخر ، ودهن بدهن السمسم ، وأطعمه رئيسه قطعة من (البهثة) وسقاه شيئاً من ماء (الممبولا) فيهب المتعمد رئيسه ما تسمح به يده من مال وينصرف .

وقد أباحت الشريعة الصابئية تعميد أبناء الطائفة في أيام الپنجة ليلاً ونهاراً في حين أن التعميد في سائر المواسم والأعياد لا يجوز إلا نهاراً ، وفي أيام الآحاد فقط . دون بقية أيام الأسابيع الأخرى .

٤ً ـ عماد الأعياد

لما كان للصابئة أربعة أعياد قومية معروفة وهي : العيد الكبير ، والعيد

الصغير ، وعيد البنجة ، وعيد يحيي ، فقد حتمت الشريعة المندائية على كل صابئي أن يتعمد في هذه الأعياد الأربعة ولو مرة واحدة في حياته . وليس من الضروري أن يجري تعميده في هذه الأعياد بالتسلسل ، وإنما عليه أن يتعمد فيها كلها ، ولو في سنوات متفاوتة . أما المؤمنون فعليهم أن يتعمدوا في كل عيد من هذه الأعياد عند حلولها .

إن من متممات التعميد ، الذي يجب أن يجري في أعياد الصابئة (المندائية) نصب الـ (إدربشا اديهي) أي علم يحيي سواء أكان طالب التعميد عالماً دينياً أو شخصاً عادياً ، على حين أن التعميد في سائر أيام السنة لا يتطلب إحضار هذا العلم ولا نصبه .

تعميد المؤمنين

يعمد رجال الدين عند الصابئة ، كما يعمد سائر أفرادهم ، إلا أنه يتوجب إحضار علم يحيي ، ويسمونه (أدربشا إديهيه) عندما يجري تعميد أحد المؤمنين ، وهذا العلم عبارة عن عودين كبيرين نظيفين ، يربطان إلى بعضهما على هيأة الصليب ، وتنشر عليهما كسوة من القز الأبيض يقولون أن فيها إشعاعاً مقدساً (١) فإذا انتهى الغرض من استعمال هذا العلم ، طوي وحفظ في دار (الكنزبرا) ولا يجوز فتحه مرة ثانية إلا في المناسبات المنصوص عليها شرعاً مثلا عندما يشيع احد المؤمنين إلى مرقده الأخير .

البهثة Al-pahtha

ومما يتصل بالتعميد اتصالا مباشراً ، ولا يجوز ان ينفصل عنه ، توزيع

(١) « يعتقدون ان الشيء المضيء في الشمس او القمر هو دربشا اديهيه ، مشابه لما يستعملونه ، وعند المغرب يطوى من الشمس فتغيب ، ويفتح في القمر فيشرق » .
عبد الجبار عبد الله الصابئي في كتاب « العراق في القرن السابع عشر » ص١١١

قطع البهثة ، ومياه الممبولا على المتعمدين كافة .

والبهثة قطعة من الخبز الفطير ، يمنحها المؤمنون إلى كل من يتعمد على ايديهم من افراد طائفتهم ، ذكراً كان ام انثى ، صالحاً ام طالحاً ، لتقيه شر الخطوب والآلام زمناً ما .

وتحضر هذه البهثة على نحو خاص وذلك بأن يأتي احد ابناء الطائفة بمقدار من الطحين البر في يوم الاعتماد ، فيهيله على كفي الترميده من علو معلوم ، فينطلق هذا به إلى النهر الجاري ، ويغترف منه ما يكفي لعجن الطحين المذكور ، من دون خميرة ، ثم يخبزة على هيئة اقراص مستديرة بحجم الريال العراقي على كانون مجمر ، فتعطى الى كل من يتعمد ، ويعطى معها قليل من ماء محفوظ في قنينة تملأ من الماء الجاري ، اثناء عملية التعميد ، يسمونه (ممبولا) . ولا يجوز للعامة ان يمسوا ارغفة « البهثة » قبل توزيعها عليهم من قبل رجال دينهم فان فعلوا ذلك حرمت على رجال الدين .

ويجب ان تستعمل اقراص البهثة ومياه الممبولا في اليوم الذي تحضّر فيه ، لأن بقاء شيء منها إلى اليوم التالي ، يفقده مفعوله المقدس . اما اذا فاضت هذه الاقراص عن الحاجة ، فتعلق في شقوق الجدران المرتفعة . سواء اكان ذلك في معبدهم (المندي) او في دار رئيسهم الديني .

الزواج عند الصابئة

أحكام عامة

يرى الصابئون « المندائيون » أن العزوبة خطيئة لا تغتفر ، وأن الزواج فرض على كل من استطاع اليه سبيلا ، ومن توفّرت لديه أسبابه ، وتخلف عنه ، فقد حرم نفسه من نعيم الآخرة مدة من الزمن .

وإذا مات مؤمن قبل أن يتزوج ، او توفي من دون نسل ، فإنه ـ بعد انتقاله إلى آلمي دنهورا « أي عالم الأنوار » ـ يجب عليه أن يتقمص ثانية ، ويصير أباً ذا أولاد ، لأن تخليف النسل واجب ديني. أما من كان معدماً، فقد حتمت الشريعة « المندائية » على الموسرين تيسير أسباب الزواج له .

وقد أباحت الشريعة المندائية للصابئي أن يتزوج ما طاب له من النساء: مثنى وثلاث ورباع وخماس وسداس وسباع ، متى تعهد أن يساوي بين زوجاته مساواة فعلية لا كلامية ، وحقيقية لاصورية ، على أن لا يجمع بين الأختين بصورة مطلقة ، وأن لا يقرب غير صابئية ، لأن الصابئي لا يكتسب الصفة الصابئية إذا لم يولد من أبوين صابئيين ، ولهذا فهم لا يسوّغون زواج الصابئية بالأجنبي ، ولا زواج الصابئي من أجنبية لئلا يختلط الدم ، ويضيع النسب . فإذا نكحت صابئية أجنبياً فإنها تعد خارجة عن دينها ، ولا تقبل لها توبة ولا ردّة ، والعكس بالعكس .

أما المحرمات من النساء عندهم فهن اللاتي حرمتهن الآية الكريمة على المسلمين وهي :

(حُرّمَتْ عَلَيكُم أمّهاتُكُم وبنَاتُكُم واخَواتُكُم وعمّاتُكُم

وَخالاتُكمُ وَبناتُ الأخِ وَبناتُ الأختِ وَأمّهاتُكمُ اللاّتي أرْضَعْنَكُمْ وَاَخواتُكم مِنَ الرَّضاعةِ وأمّهاتُ نسائِكمْ وربائبكم اللاّتي في حُجوركم مِنْ نسائِكُم اللاّتي دَخلْتُم بهنّ فإن لَمْ تكُونوا دَخلْتُم بهنّ فَلا جُناحَ عَليْكم وَحلائِلُ أبْنائِكم الّذينَ مِنْ اصْلابِكم وَأنْ تَجْمَعوا بَيْنَ الأخْتَيْن إلا ما قَدْ سَلَف إنّ اللهَ كانَ غفوراً رَحيما) (١) .

وأما الطلاق فغير مسنون عندهؤلاءالقوم، أوهومكروه، غيرأن الشرع أباح للصابئي أن يهجر زوجته ـ على نحو ما تفعله النصارى ـ متى أقام البينة على أسباب الهجر . وتتلخص هذه الأسباب عندهم في الأمور الأربعة الآتية:

أ ـ ثبوت الزناء .

ب ـ عدم الاغتسال من الحيض .

ج ـ ترك الصلاة .

د ـ ثبوت السرقة .

وقد يضطر بعضهم الى الطلاق ، ولكنهم يشترطون فيه أن لا يكون على أيدي رؤسائهم الروحيين ، بل عليهم مراجعة هؤلاء الرؤساء لعرض ما لديهم من أدلة وبراهين ، وعلى الرئيس الديني أن يرسل من يصرّ على تطليق زوجته إلى المحاكم الشرعية الإسلامية ، فتبت فيه في ضوء الأسباب الأربعة المثبته فويق هذا ، ثم يثبته هو بصفته الروحية ، حتى إذا أراد المطلق أن يعيد النكاح على مطلقته ـ وهو ما أباحته شريعته ـ مكنه الرؤساء المذكورون من ذلك تحت شروط خاصة أهمها التوبة، والاستغفار، وتجديد

---

(١) سورة النساء .

سنن الزواج ، وآدابه .

أما المهجورة فليس لها أن تتزوج حتى يموت هاجرها ، فتنفصم العرى الزوجية بينهما ، أما إذا ماتت هي قبله فإنها تعود اليه كزوجة شرعية في الدار الآخرة . ولا تقتل الزانية شرعاً لأن الحدود الشرعية لا تقام على الصابئة في هذه الدنيا الفانية ولكنهم يقتلونها أحياناً متأثرين بعادات مجاوريهم من المسلمين.

وعلى المطلقة أن تعتدّ عدة الطلاق ، وهي ثلاثة أشهر . مثلها في ذلك مثل التي فقدت بعلها ؛ ولا تستطيع أن تنكح زوجاً آخر إلا بعد انقضـــاء هذه المدة .

أما الأرملة فلها أن تتزوج بعد العدة المذكورة أيضاً ، إذا تهيأ لها من يتزوجها ، ولكن النسل منها ، ومن المطلقة ، لا يستطيع أن ينخرط في سلك رجال الدين إلى ثلاثة أظهر .

ويحرم الرجل الذي نكح ثيباً بعقد شرعي على أساس انها «بكر» يحرم هو وزوجته ونجله من ممارسة بعض الواجبات الدينية إلى ثلاثة أظهر إلا إذا تعمد هو وزوجته من الثيب (٣٦٠) مرة متواصلة من يوم الأحد إلى يوم الأحد (١) .

---

(١) دعي الكنزبرا الشيخ عبد الله الشيخ سام والترميدان : الشيخ فرج والشيخ خزعل الى عقد نكاح سهيّم على نظيرة بنت عامر في يوم الأحد الموافق ٣ تموز ١٩٥٥ وبعد تعميد كل من الخطيب والخطيبة جرى الفحص الشرعي على الخطيبة فظهرت انها « ثيب » فاغتاظ والدها وأخذها الى المستشفى واستحصل تقريراً طبياً مفاده ان البنت « باكر » وما لبث أن أقام دعوى القذف على شيوخ التعميد فأصدرت المحكمة قراراً بالافراج بعد ان استمعت الى شهادة الكنزبرا الشيخ دخيل القائلة بأن اي انسان يعقد على بنت غير باكر يكون آثماً ويتوجب تعميده (٣٦٠) مرة من الأحد الى الأحد بحضور سبعـــة من رجال الشرع فان رفض ان يتعمد منع عن مزاولة عمله الديني .

« الكنزبرا » الشيخ عبد الله بن الشيخ سام يعمد عريساً بعد مرور سبعة ايام على زواجه ويعمد القدور والاواني التي استعملت خلال هذه الايام السبعة

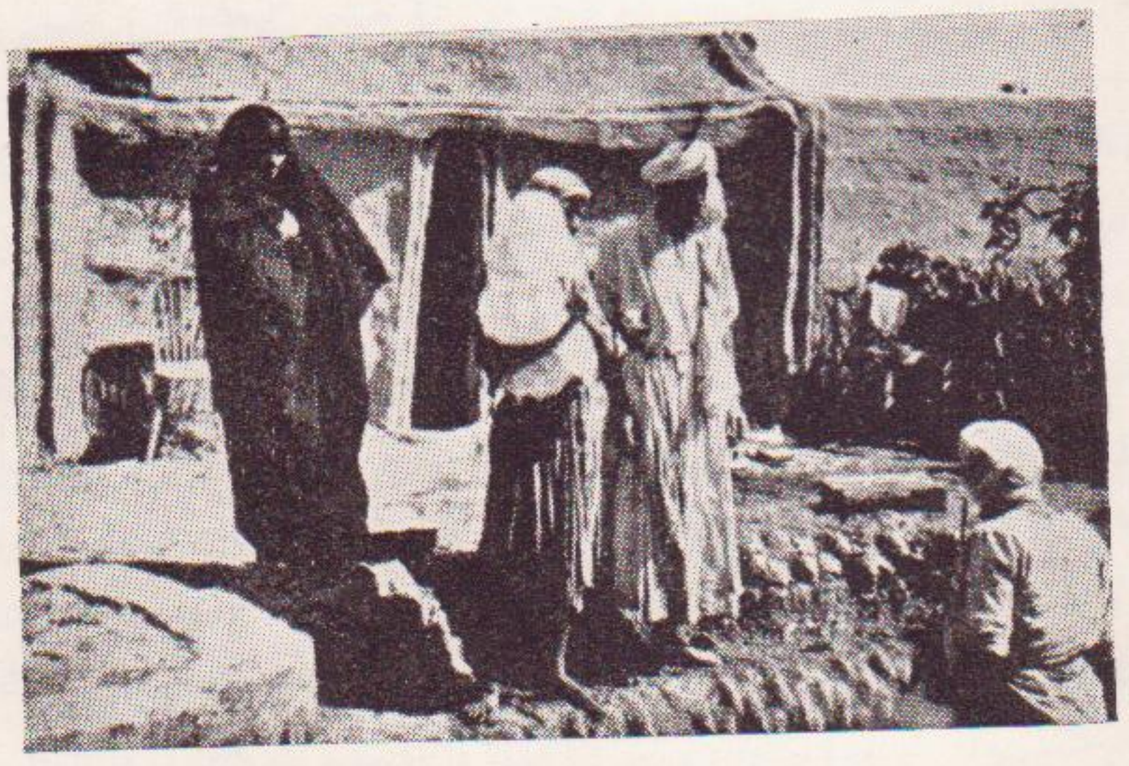

« تعميد » طفل صابئي عند «المندي»

امام الصفحة ١٠٤

وللصابئة في الزواج طبقات يتميزون بها ، فلا يجوز لأحدهم أن يتزوج من طبقة أعلى من طبقته « وإن جاز لرجال الدين أن يتزوجوا من طبقات هي دون طبقاتهم » كما كانت عادات الرومانيين قديماً ، وكما هي عادات اليزيديين حديثاً ، أي ان لكل طبقة ان تتزاوج فيما بينها ، خلافاً لقاعدة « المؤمن كفؤ المؤمن » المتبعة عند المسلمين .

اما القائمون برسوم الزواج وسننه فهم رجال شريعتهم الذين يجب أن يكونوا قد تعمدوا مرتين على الأقل من قبل ، وهؤلاء صنفان : يسمى الأول « الكنزبرا » وهو الذي يعقد مهر العذارى دون الثيبات (١) ويدعى الثاني « الأبيسق » ـ بالتصغير ـ وهو « الترميده » الذي حرم نفسه كثيراً من الحقوق المدنية التي يمارسها زملاؤه « الترامده » ووقفها للعقد على الثيبات . فهو أوطأ درجة من الكنزبرا .

ويكره عقد النكاح في شهر شباط لأنه من الأشهر النحسة ، التي لا

---

(١) روى السيد عبد الحميد عبادة في رسالته « مندائي » ص٣٧ ان عالماً من درجة كنزبرا اعتمد على « امرأة من افراد عائلته للفحص على امرأة ليعقد لها فأخبرته انها بكر وعقد لها ، فذهبت الى زوجها ، وبعد مرور ستة اشهر ، ولدت ولداً تام الخلقة ، فظهر من ذلك انه عقد لها ، وهي ثيب حامل ، وبما انه عالم من درجة كنزبرا علم انه قد ارتكب خطيئة عظيمة وذهب إلى العلماء الذين لا يقربونه نسباً من علماء المحمرة ، وناصرية العجم ، وغيرها واخبرهم بالقضية فأمروه بإكثار التعميد وانه يبرء من هذه الخطيئة ، فتعمد ٣٦٠ مرة على عدد الاشخاص السماويين وعاد الى وظيفته العلمية كنزبرا » اه وقد اكد لنا « الكنزبره » الشيخ دخيل بن الشيخ عيدان بأنه هو الذي ارتكب هذا الخطأ في تشرين الاول من عام ١٩١٧م فذهب الى « خوزستان » واجرى علماؤها تعميده (٣٦٠) مرة لتخليصه من هذا الإثم ، واطلعنا على المضبطة التي دونها علماء هاتيك الجهات له في السنة المذكورة إبراء لذمته وتطهيراً لجسده .

يصادف الزوجان فيها السعادة المأمولة ، ويسمون هذا الشهر « أول القيظ » ويحرم في عيد الپنجه مطلقاً .

الخطبـــة والمهر

والمتبع في عقد النكاح هو أن الراغب في الزواج، بعدان يعين الفتاة التي يهواها هو ، ويتأكد من بتوليتها ، يكلف أهله فيرسلون احد معارفهم الى دار تلك الفتاة لمفاتحة اهلها بأسلوب رقيق ، حتى اذا ضمن موافقتهم الأولية أرسلوا في اليوم التالي عالماً من درجة « كنزبرا » فيخطبها خطبة اصوليـــة ، ويقرر المهر الذي يكون في الإمكان تأديته ، فإن لم يجدوا «كنزبرا» استعاضوا عنه بأحد صلحاء الطائفة ، وعندها لا يسمح للخطيب ان يجتمع بخطيبته حتى يحين يوم الزفاف .

ويختلف هذا المهر باختلاف أحوال الرجل المالية ، وأموره المعاشية ، فقد يكون عشرة دنانير ، وقد يكون مئة دينار . وهو يفرض على الخطيب مقدماً ومؤخراً ، ، ويجوز اخذه في وقت واحد ، كما تجوز كتابة صك به ، إذا لم يكن ميسوراً ، أو كان الخطيب معسراً . هذا إذا كان الطرفان صالحين ليس في أقاربهما شائبة في الجسم ، او في العرض ، وإلا فالمبلغ يزيد زيادة فاحشة تعويضاً عن الشائبة ، وفي جميع الأحوال يشترط تجهيز الخطيبة بما تحتاج اليه من رداء وكساء ، إلى بعض الحلي التي تناسب حالة الطرفين .

ويقول شيوخ الصابئة ان المهر لم يكن من سننهم الاجتماعية ، وإنمـــا أخذوه عن مواطنيهم من المسلمين أخذاً ، ولهذا فإن بين المتمولين من لا يقبل مهراً لابنته ، مهما بلغ ، وإنما يهبها لخطيبها هبة إذا وجده كفؤاً وأهلا لها ، وقد يغرق في مساعدة صهره فيسر له نفقة الزواج أيضاً .

البكـــارة

فإذا تم الاتفاق على الخطبة والصداق « المهر » زفّت العروس الى دار الرئيس الديني « الكنزبرا » الذي سيشرف على تعميدها لتفحص من قبـــل والدته او زوجته ، او احدى معارفه ، بغية التأكد من أنهـــا بكر لم يمسسها احد بسوء ويجري هذاالفحص عادةبعدتعميدكل منالخطيب والخطيبة (١) فإذا جاءت النتيجة سلباً ، وجم القوم ، وُخير الخطيب بين الاستمرار في اتمام الخطبة وبين فسخها ، فإن رأى استمرارها، أحضر « الأبيسق » ليقوم مقام « الكنزبرا » في تلاوة نصوص مستخرجة من (كتاب القلسته) وهو كتاب الفرح او الطرب الخاص بسنن الزواج ورسومه ، لأن العقـــد على الثيبات من اختصاص (الأبيسق) كما قدمنا ، وعدّل الصداق المتفق عليهاذ جرت العادة أن يكون صداق الثيب أقل من صداق البنت البـــاكر ، وان رغب عنها وقف كل شيء عند حده ، وانصرف كل واحد الى شغله.اماإذا تحققت البكارة فإن زغاريد النساء تملأ أجواء الفضاء ، وعندها يتأكـــد (الكنزبرا) من الخطيبة ان الخطبة قد تمت برضاها ، دون جبر ولا إكراه من والديها ، وانها ليست في حيض ، ويعين لها يوم التعميد والزفاف ، بعد الرجوع الى (الملواشه) وهو الكتاب الخاص بمعرفـــة الطـــالع . وإذا ظهر للكنزبره ـ بعد تعميده الخطيبة وتأكده من بتولتها ـ انالمخطوبة لم تكن بكراً نزل هو والترميدان ووجب تعميده (٣٦٠) مرة اما الترميدان فيتعمد كل منهما خمسين مرة واما الإمرأة الفاحصة فيحرم ذريتها من ممارسة اي عمـــل

---

(١) « وفي الوقت الحاضر يعمد بعضهم الى استحصال تقرير طبي من طبيبة اوممرضة رسمية» عبد الجبار « الصابئي » في كتاب (العراق في القرن السابع عشر) ص١٥٩

ديني الا اذا تعمدت (٣٦٠) مرة .

اما السبب في التشدد في امر البكارة فهو الإبقاء على الفتيات متهيبات حذرات

التعميد

ولما كان الماء أساس الحياة (١) كان لا بد من إجراء رسوم الزواج في وسطه ، سواء أكان الفصل صيفاً او شتاء ، وهو ما اصطلحوا عليه بالتعميد او الاصطباغ ، وهذا هو السر في انهم لا يسكنون مدينة او قرية لا يكون فيها نهر جار .

أما كيفية ذلك فهي ان تزف الخطيبة الى دار خطيبها ، في اليوم المعد للدخول فيها ، ويشترطون ان يكون ذلك في يوم الأحد من أي أسبوع كان عدا الاسبوع الذي يقع فيه عيد البنجه (Punja) فيذبح احد الأصدقاء ديكاً عند قدمها اليمنى ، كفدية لها ، وبعد استراحة قصيرة تذهب الخطيبة ، ومعها أمها ، وسائر من يصحبها من أقاربها ، إلى دار معروف لهم تكون قريبة من النهر الجاري ، أو إلى بستان قائمة على النهر ، حيث يكون في انتظارها عالمان من درجة (ترميده) وفقيه من درجة (كنزبرا) فإن لم يكن هؤلاء في البلد الذي يجري الزفاف فيه ، سافر الخطيبان الى حيث يقيمون او استدعياهم إلى حيث يقيمان هما .

ويخلع رجال الدين ألبستهم الاعتيادية ، ويلبسون الألبسة الخاصة برسوم التعميد (اي الرسته) ثم يمسكون عصيهم المتخذة من شجر الآس ويسمون الواحدة منها مركنة (Margana) ويضعون في خناصر ايديهم اليمنى خواتم من عود الآس الأخضر (يسمون الواحد منها إكليلة) وبعد ان يتوضـــأوا في

---

(١) وَجعلنَا مِنَ الماءِ كلَّ شيءٍ حَيٍّ أفلا يُؤمِنُون « سورة الانبياء : الآية ٣٠ »

النهر الجاري (وهم حفاة مستقبلين الجـــدي) يشرعون في قراءة الفاتحـــة (ويسمونها يبني رهمي) فتستغرق قراءتها نحو نصف الساعـــة ، ثم تتقدم الخطيبة فتستبدل ثيابها بلباس (الرسته) وبعد ان يتأكد (الكنزبرا) من ان لبسها تم كاملا ، حسب الأصول الشرعية ، يضع في خنصرها ال (إكليلة) ويلقنها بعض العبارات باللغة المندائية ، ويكون احد (الترميدين) قـــد نزل الى النهر ، وبيده (مركنته) وغاص فيه حتى الركبتين ، فيشرع في قراءة بعض نصوص مستخرجة من كتاب (القلستا) الخاص برسوم الزواج وسننه ، ثم يستدعي الفتاة المخطوبة فتنزل في النهر وتجلس على ركبتيها الى يمين (الترميده) ويأمرها هذا فتغطس فيه ثلاث غطسات ، وهو يرش المـــاء عليهـــا ثلاث دفعات ، ثم يمسكها من رأسها ، ويلامس جبينها سطح الماء ، ويمرر اصابع يده اليمنى على جبينها ثلاث مرات ، وبعد ان يطهر يديه في الماء ، يغترف مقداراً منه بكفه اليمنى فيسقيها ثلاث جرعات ، ويتلو عليها أثناء ذلك آيات بركات الاعتماد ثم ينزع إكليله من خنصره ، ويضعه تحت عمته ويأمر الخطيبة فتخرج الى المكان الذي جاءت منه ، وتجلس الى وعاء من الطين الحرّ يسمونـــه « طريانه » فتتبخَّر بالبخور المشتعل في «الطريانه» ويتبعها (الترميده) فيخرج بعد ان يكون قد ملأ قنينة من الزجاج بالماء ، اثناء وجوده فيه ، ليقرأ عليها شرعة النكاح ، ويطعمها قطعة من (البهثة) ويسقيها قليلا من ماء الممبولـــة الذي في القنينة ويدهن جبينها بدهن السمسم ، ويرمي إكليلها في النهر ، ثم يعود واياها مرة ثانية الى النهر ، ويجري عليها ما أجراه أولا ، سواء ما كان منه قبل الدخول في النهر أو بعده ، وبذلك يتم تعميدها ، فتستبدل حلتهـــا المبتلة بأخرى يابسة ، وتخرج وبيدها مصباح اشارة الى كونها عروساً معمدة

لا يجوز مسها ، لأن لمس العروسين خلال الأيام السبعـــة الأولى من العرس ينجسهما ، وتذهب تواً إلى حجرة خاصة تسمى (حجله) وتكون فيها ناموسية بيضاء تدعى (الكلة) فتجلس تحتها في انتظار خطيبها وهي على أحر من الجمر.

ويجب أن يحضر جميع هذه الطقوس فتى ، هو عادة ابن أحد المؤمنين، او احد انجال اخوته ، فإن لم يكن لهذا المؤمن ابن او ابن اخ ، ، جيء بهذا الفتى من الخارج على أن يكون نظيفاً ـ اي من عائلة غير معتلة ـ ومعمداً، ليشهد ان الطقوس قد تمت حتى الآن بصورة صحيحة ، ويسمى هذا الفتى (الاشكندي) .

اما الخطيب فإن (الترميده) الثاني يعمده كما عمد زميله (الترميده الاول) خطيبته ، لأن الواجبات الدينيـــة هي على الذكر والانثى سواء في نظرهم . فاذا ما انتهى من ذلك استبدل (رستته) المبتلـــة بأخرى يابسة ، وعلق في سفيفتها (الاسكندولة) لتبقى معلقة بحزامه مدة سبعة أيام (١) فتقيه الشرور والآثام ، واستعد للدخول في (المجلس) المشيد خصيصاً لإتمام صيغة المهر . وخلال هذه الفترة لا يجوز له ان يأكل او يشرب او يـــدخن ، لا هو ولا خطيبته ، حتى يفرغا من عملية (قطع المهر) فان عطشا ، استأذنا (الكنزبرا)

---

(١) يقول الصابئون ان « الاسكندولة » كلمة مندائية معناها «سكين الدولة» ويطلقونها على خاتم بحجم « الريال » نقشت عليه صور الحية ، والعقرب ، والاسد ، والزنبور ، فترمز الحية ـ على رأيهم ـ الى « الاور » والعقرب الى « سركي وسركاني » والاسد الى «اشدوم» والزنبور الى « كاف وكافاني » وكل من هؤلاء روحاني من عالم الظلمة . ويقول المندائيون ان شعار دولتهم قديماً كان هذه « الاسكندولة » ،

والذي نراه ان هذه الحيوانات الاربعة انما ترمز الى العناصر الاربعة . فالحية ترمز الى التراب ، والعقرب الى الماء ، والاسد الى النار ، والزنبور الى الهواء .

ليسمح لهما بشرب الماء من النهر ؛ وإن جاعا أكلا من طعامه مايسدابه الرمق أما (الكنزبرا) و (الترميدان) فانهم يستبدلون (رستاتهم) المبتلة بأخرى يابسة استعداداً لإنجاز رسوم الزواج في المجلس المذكور .

مجلس المهر

مجلس المهر «ويسمونه أنْدَرو نا» أيضاً فهو عبارة عن اثني عشرة شبَّة (حزمة) من القصب النظيف المقشر ، في كل منها قصبتان ، مربوطتان الى بعضهما بخوص النخل الملوي على نفسه على شكل مربع متساوي الأضلاع ، في كـــل ضلع

« الاسكندولة » التي يحملها العريس مدة سبعة الأيام الأولى من عرسه

من أضلاعه أربع شبَّات ، وله باب مفتوح مقابل للجدي ، وفوق سطحه كلة (ناموسية) بيضاء ، وفي وسطه بعض الحصر النظيفة . ثم يحضر الكنزبرا) والترميدان والخطيب ووكيل عن الخطيبة ، يسمونه (الأب)(١) وهم بألبستهم الدينية البيض (اي الرسته) وبعد ان يتلو الفقيه بعض النصوص الدينيـــة : وهو خارج المجلس ، مستقبلا الجدي ، يوافيه احد الصبية بسلة فيها ألبسة العريس مع ألبسة عروسة وكلتها (ناموسيتها) الخاصة ، فيضع (الكنزبرا)

(١) الاب رجل من طبقة « الحلالية » المعمدين يجب ان تكون سنـــه اكبر من سني العروسين عادة ويتولى حسم مشاكلهما في حياتهما الزوجية .

(مركنته) فيها ليباركها ، ويحرك الصبي السلة ذات اليمين وذات الشمال ، ثم يذهب بها إلى حيث تجلس العروس ، فينصب لها كلتها ، ثم يعود ويأخذ كوزاً من الفخار الجديد (شربه) فيرميه على حجر رحى موضوع على عتبة (المجلس) فيتهشم وعندها يذهب احد (الترميدين) إلى النهر ، وبيده ابريق من الفضة او المعدن الأبيض ، فيملأه ويلفه بقماش ابيض لفاً محكماً بحيث لا يظهر شيء منه .

ويدخل المؤمنون (المجلس) فيتبعهم الخطيب ، ويمسك طرفاً من عمة « الكنزبرا » ويأمر هذا باخراج الكتب المقدسة من كيسها الخاص الأبيض ، ثم يضع الطراني « أو الطرائن » وهي ثمانية ازواج ، ويصب الترميده «حامل الإبريق » الماء على يدي « الكنزبرا » ثلاث مرات ، فيرشه هذا بدوره على الطرائن ، ويخرج مقداراً من السمسم المقشر ، والملح المصفى ، ويرشهما على الطرائن ايضاً ، كما يضع على كل طريانتين قطعة من السمك المشوي ، واخرى من البصل ، ثم يؤتى بسبعة وعشرين رغيفاً من الخبز الفطير ، الذي اعده اهل الخطيب ، فيوزعها على الطرائن ، واضعاً على كل زوج ثلاثة ارغفة ، وجاعلا الأرغفة الثلاثة المتباقية امامه ، ثم يمسك ـ وأحد الترميدين ـ أحد الأرغفة التي امامه ، وبعد أن يتبادل وإياه بعض العبارات المنداثية يقتسمان الرغيف ، ويخرج من الكيس مقداراً من الجوز واللوز والتمر والزبيب والكشمش والملح والبصل ، ويعمل منه لقمتين ليعطي احداهما الى العروس والأخرى الى العريس فيأكلانهما كناموس للزواج ، ويأمر «الكنزبرا» وكيل العروس «الأب » فيدخل المجلس ، ثم يأمر الخطيب فيجلسه امامه ، ويمسك ذؤابة عمته ؛ ثم يشرع في تلقينهما بعض الاوراد الخاصة بشرعية النكاح .

وما فيه من خير وبركة للملة ، فان فرغوا من ذلك ، صافح الأب الخطيب ثلاث مرات ، واعطى الكنزبرا كلا منهما اللقمة التي أعدها له كناموس للزواج فيأكل الخطيب لقمته، ويشرب بعدها شراباً خاصاً أعد لهذه المناسبة، وبذلك يحل صومه الموقت ، ويذهب الأب إلى العروس فيطعمها لقمتها ، ويسقيها قليلا من الشراب الذي شرب منه خطيبها ، ثم توزع أرغفة الخبز على الحاضرين فيأكلونها ، ويرمون ما تبقى منها في النهر .

ويعود الأب إلى « المجلس » ويمسك بيده قنينة « ماء المملولا » التي كان « الترميدة » ملأها من النهر ، أثناء عملية الاعتماد ، كما يمسك الخطيب ذؤابة عمة الكنزبرا مرة أخرى، وبعد تلقينهما نصوصاً دينية يطول شرحها، يصطحب «الكنزبرا» الخطيب والأب إلى «حجلة» العروس، ويأمر أحد الصبية فيكسر كوزاً ثانياً على العتبة ، ثم يقدم العريس إلى عروسه ، ويضع يده في يدها ، ويحلفه أمامها بأن لا يخونها ولا يظلمها، كما يحلفها أمامه بأنها لن تخونه ولن ترتكب اثماً يخجله ، وعندها يجلس الخطيب وظهره على « الكلة » التي فيها خطيبته ، وكذلك تفعل الخطيبة من عندها ، بحيث يكون الخطيبان ظهراً لظهر ، ويأمر « الكنزبرا » الخطيبة أن تنطح رأس خطيبها ثلاث نطحات، ولكن برفق ، وتتلى خلال ذلك بعض الأورادو الأذكار ، ويعلن الأب بأنه قد زوّج كريمته من خطيبها ، ثم يصافح صهره ، وينتقل الجميع الى المجلس فيجلس العريس في الوسط ، ويقرأ « الكنزبرا » على رأسه أوراداً أخرى ثم يفرّ « مركنته » ثلاث مرات للدلالة على أن العروسين قد استوفيا شروط العرس ، وأصبحا نجسين لا يجوز لمسهما ، اومؤاكلتهما، اومشاربتهما، مدة سبعة ايام ويسمون هذه الحالة «صورثا » فاذا انتهت هذه المدة تعمدا وكافة

القدور والصحون والأواني التي اكلا او شربا فيها خلال هذه الأيام في الماء الجاري ، وخالطا غيرهما من ابناء الطائفة «وإذا مات في مطاوي هذه الأيام أحد العروسين فالميت يعتبر نجساً ، ويطهر من نجاسته في المطراثي لكن لا يعد أبداً خارجاً عن عداد المندائية « «١» .

أما الهبة التي يستوفيها القائمون برسوم التعميد وسننه، فتختلف باختلاف حالة العروسين المالية ، ولكنها لا تقل اليوم عن ستة دنانير .

هذا وصف دقيق لحفلة تعميد العروسين : كريم بن سكر ،وبدرية بنت چثير التي أقامها الكنزبرا « الشيخ عبد الله بن الشيخ سام »والترميدان : الشيخ فرج بن الشيخ سام ، والشيخ خزعل بن الشيخ باهر ، في يوم الأحد الموافق ٢٧ حزيران ١٩٥٤ في « بستان الشابندر » في الكرخ من بغداد ، وقد سمح لنا الشيخ عبد الله المشار اليه بحضورها ،كما سمح لنا بمشاهدة تعميد عريس وعروس مرّ على عرسهما أسبوع كامل ووجب تعميدهما من جديد ، ليتسنى لنا وصف حفلات زواج الصابئة وصفاً صحيحاً .

وقد إجتمعنا بالكنزبرا الشيخ دخيل بن الشيخ عبدان قبيل الشروع في اعادة طبع كتابنا هذا طبعة ثالثة وسألناه عما استجدّ لدى أبناء طائفته من معاملات فقال والألم يحز في نفسه :

« ماكاد البعض من شباب الصبّة « الصابئة » ينهل العلم ويندمج في معترك الحياة الحديثة حتى أخذ يترك دينه ويتخلّى عن طقوسه وواجباته الشرعية فاذا ما اعتزم أحد هؤلاء الزواج اليوم فانه يذهب وخطيبته الى « حاكم الشرع » فيعقد لهما عقداً نظامياً ويسافر العروسان الى الخارج فيقضيان

---

(١) الاب انستاس ماري الكرملي في « المشرق ٥ - ٣٩٦ » ١٩٠٢.

شهر العسل دون أن يرجعا إلى رجال دينهم أو يخضعا إلى واجبات التعميد ونحوه»

الحيض والنفاس

أقل مدة الحيض عند الصابئية ثلاثة أيام ، وأوسطها خمسة ، وأكثرها سبعة ، على حين ان اقلها عند المسلمين ، والنصارى ، ثلاثة ايام ، واكثرها عشرة ، فان استمر بعد العشرة فهو استحاضة .

امامدة نفاسها فثلاثون يوماً ، فلا تحل للزوج مواقعة زوجته في مدتي الحيض والنفاس ، حتى وان طهرت قبل انقضائها ، مخافة ان يعود الدم اليها فان انتهت مدة الحيض ؛ ذهبت الى الماء الجاري ، وارتمست فيه ثلاث مرات بكامل ثيابها .

اما النفساء فانها ترتمس مثل هذا الارتماس ، بعد مضي الاسبوع الاول على النفاس ، على ان تجدده في ختام الثلاثين يوماً ، وهي مدة النفاس الشرعية ، وما لم يتم غسلها على هذا الوجه فهي غير طاهرة ولن يجرأ على لمسها احد .

وكما لا يجوز للحائض ان تلمس اي شيء خلال مدة الحيض ، فان الشارع يحظر على النفساء ان تخالط احداً او تجتمع بأحد ما خلال الايام السبعة الاولى من نفاسها ، فاذا « طمشت » بعد انقضاء هذه الفترة ، جاز لها ان تخالط الناس ووجب تعميد كافة الصحون والاواني التي استعملتها او اكلت فيها خلال مدة نفاسها ، إذ تقضي الشريعة بأن تفرد للنفساء اواني الطبخ والادوات الاخرى التي تحتاج عادة اليها .

اما طبخ شيء ما في بيتها ، او القيام بأية خدمة كانت ، فانها من الامور المحرّمة عليها حتى تنتهي مدة نفاسها الشرعية ، وهي ثلاثون يوماً ، وتتعمد اعتماد النفاس الاخير فتطهر من دنس الولادة .

أعياد الصابئة

وعدد نفوسهم ، ومساكنهم ، وصناعتهم

الاعياد

تتألف السنة عند الصابئة « المندائية » من (٣٦٠) يوماً ، وهي تقسم إلى اثني عشر شهراً ، في كل شهر ثلاثون يوماً ، وتبتدىء السنة عندهم بشهر نيسان الشرقي « الرومي » وتليه الشهور على الترتيب بأسماء تختلف قليلا عن أسماء الشهور الشرقية (١) .

أما بدء التاريخ عندهم فينقسم إلى ثلاثة أقسام : فبدء الخليقة وهبوط آدم أول تاريخ تضبط به السنين عندهم ، ويليه عام الطوفان ، الذي يعتبر الأمد الثاني لتحديد السنين ، ثم ولادة يحيى بن زكريا «ع» التي لا تفرق في المدة عن ولادة ابن خالته السيد المسيح «ع» إلا بستـــة شهور ، لذلك فهم يتفقون في بداية تاريخهم الأخير مع التاريخ الميلادي ، ويتخذون منه تاريخاً لأمورهم الدينية وشؤونهم الشخصية .

أما التاريخ الهجري فيعتقدون بصحته أيضاً ، ويستعملونه في كثير من معاملاتهم الرسمية والدينية ، نتيجة لاختلاطهم مع المسلمين من جهة ، ولأن ظهور نبي المسلمين : محمد بن عبد الله ﷺ كان منصوصاً عليـــه في بعض كتبهم المقدسة من جهة أخرى ؛ وهو بداية العهد الأخير الذي يحتـــاج إلى إصلاح .

---

(١) هذه هي أسماء شهورهم : ١ ــ نيسان ٢ ــ أيار ٣ ــ سيوان ٤ ــ تموز ٥ ــ آب ٦ ــ أيلول ٧ ــ تشرين ٨ ــ مشروان ٩ ــ كانون ١٠ ــ طابيث ١١ ــ شباط ١٢ ــ آذار

وهم يعظمون يوم الأحد «كالنصارى» ويقدسونه كثيراً ، ويعطلون فيه أشغالهم كافة ، لانهم يعتقدون بنزول « همَّبشبَّه » أحد الثلاث مئة والستين شخصاً السماويين من عالم الأنوار « آلمي دنهورا » إلى الأرض في هذا اليوم ليعمد أهل « مشوني كشطة » ولهذا فإنهم يسمون يوم الاحد باسم هذا الشخص السماوي « همّبشبّه » ويقولون انه ابن « ماري أدربوثا ليثه » أما بقية أعيادهم فهي :

١ً ـ العيد الكبير

ويسمى عيد « دهوه ربـّا » أي عيد ملك الأنوار ، أو عيد «نوروزربـّا» أي عيد اليوم الجديد ، أما العامة فتسميه « عيـــد الكرصة » إذ يكرصون « يعتكفون » في بيوتهم ٣٦ ساعة متتالية . ومدته أربعة أيام تبتدىء باليوم السابع من شهر آب من كل سنة منداثية ، وتنتهي بنهاية اليوم العاشر منه (١)

---

(١) رأت وزارة السيد حكمت سليمان أن تشمل « الصابئة » بعطف الحكومة فشرعت لهم قانوناً بأعيادهم القومية . وقد جاء في الفقرة الاولى من قانون تعديل قانون العطـــلات الرسمية رقم ٧٢ لسنة ١٩٣١م ، رقم ٢٩ لسنة ١٩٣٧م ، هذا النص :

« تضاف الفقرتان الآتيتان إلى المادة الخامسة من قانون العطلات الرسمية :

٣ ـ والايام الآتية أيام عطلة رسمية فيما يخص الصابئة :

« أربعة أيام العيد الكبير « دهوه ربا » ٧و٨و٩و١٠ آب

« يوما عيد الصغير ٢٣و٢٤ تشرين ثاني

« خمسة أيام عيد الپنجة ٥و٦و٧و٨و٩ نيسان

« يوم عيد النبي يحي ٩ حزيران » اهـ .

وهذا التشريع الذي وضع بناء على طلب رؤساء الصابئة ، يجعل أعيادهم القومية أربعة لا خمسة ـ كما توهم البعض ـ وينص على تعيين مواعيدها نصاً صريحاً لا لبس فيه ولا غموض ، الا أن هذه المواعيد قد تتأخر بضعة أيام ، وقد تتقدم لان شهورهم ثلاثون يوماً . فقد ابتدأ عيد الپنجة لسنة ١٩٢٥ مثلا باليوم السابع من نيسان الميلادي ، وابتدأ هذا العيد لسنة ١٩٣٢ بالخامس من نيسان المذكور ، بينما وافق حلوله في سنة ١٩٥٤ باليوم الاول من نيسان الميلادي أيضاً ، وهكذا القول في بقية الاعياد .

وهم يسمون اليوم الأول من هذا العيد (كنشي وزهلي) وفيـــه تنحر الخراف ، ويذبح الدجاج ، وتشجر التنانير لعمل الخبز و(الكليجة) لتؤكل خلال أيامه ، ويوزع الباقي على الفقراء إما في ساعة الذبح ، وإما بعد انتهاء أيام العيد مباشرة ، كما أنهم يجلون الأواني ، ويغسلون الألبسة ، ويهيأون كل شيء قبيل دخوله ، ويستقبلونه بالارتماس في الماء الجاري ثلاث مرات ، إمعاناً في تطهير الأبدان من الأدران .

ويقول الصابئة إن الملاك الموكل بالماء يعرج ، وسائر ملائكة الأرض ، إلى عالم الأنوار ليشاركوا أهله أفراحهم التي يقيمونها في هـــذا العيـــد ، فيستغرق عروجهم ١٢ ساعة ، ويمكثون بينهم ١٢ ساعة ، ثم يعودون إلى هذا العالم فتستغرق عودتهم ١٢ ساعة ، ولهذا يذّخر أبناء هذه النحلة ما يكفيهم من الماء خلال هذه المدة في الأوعية ، والجرار ونحوها ، لأن مياه الجـــداول والسواقي ، حتى الانهر الجارية ، تكون معرضة لخطر التلويث أثناء تغيب الملاك المذكور (وصحبه) في عالم الانوار ؛ وهم حين يكرصون (يعتكفون) في بيوتهم ٣٦ ساعة ، لا تغمض لهم عين ، خشية أن يتطرق الشيطان اليهم ، لان الاحتلام يفسد عليهم هناءهم ، ويسلبهم بهجة عيدهم ، كمـــا أنهم يحفظون طيورهم وأغنامهم ومواشيهم عند مجاوريهم من المسلمين أو غيرهم ليعلفوها ويحتلبوها بالنيابة عنهم ، لانهم ممنوعون شرعاً من القيام بأي عمل دنيوي في هذا العيد الكبير ، فاذا عاد أحد هذه الحيوانات الداجنة الى بيته خلال هذا العيد عفواً ، سقط وحرم أكله ، وإذا لامس أحداً من أهل البيت وجب على الشخص المُلامَس أن يتعمد بعد انقضاء أيامه .

واذا احتضر الصابئي خلال الـ ٣٦ ساعة المذكورة ، فيغسل بالماء المدخر

في بيته ، ويكفن ، ولا يدفن الا بعد انتهائها ، وتعد الوفاة في مثل هذه المدة كارثة تهدد العائلة بالخطر ، طوال السنة الجديدة ، اما من مات فجأة بسكتة قلبية او نحوها فلا يدفن الا بعد انتهاء هذه المدة ايضاً ، ثم يراجع العالم الروحاني بعد انتهاء العيد ليعمل له الثواب ، ويهدى كفناً باسمه الى احد الفقراء ، وينحر لروحه خروفاً او حمامة او نحو ذلك .

واذا عض حيوان صابئياً في بحر هذه المدة ، او نهشته حية ، او لسعته عقرب ، فانه يعزل عن اهله ، ويمنع عن الاكل والشرب والاختلاط بأحد ما ، حتى اذا انتهت مدة « الكرصة » عمدوه في الماء الجاري سبعين مرة ، ليبرأ من اثر العدوان المذكور .

وبعد ان تنتهي مدة الاعتكاف بدقائق معدودات « يطمش » المعتكفون في المياه الجارية حتى اذا اسفر الصباح ، خرجوا من ديارهم لمعايدة بعضهم بعضاً ، مبتدئين بالرئيس الديني « الكنزبرا » ليسمعوا منه حوادث السنة الجديدة ، فان علماءهم يراجعون كتبهم المقدسة ، ولا سيما سفر الملواشه (اي كتاب البروج) في مثل هذا العيد ، ليستكشفوا حوادث السنة المقبلة ، وما سيقع فيها من خير وشر ، ثم يرد الرئيس الديني الزيارة الى أتباعه ، ويعلق على مداخل بيوتهم اكاليل من الآس فتبقى معلقة طوال السنة لتطرد عنهم النوائب (١).

ولهم في هذا العيد عادة تكاد تكون شائعة بين جميع الشعوب ، التي تحتفل بعيد النوروز ، فهم يستحضرون صحوناً من الفخار على عدد افرادهم من

---

(١) اذا حلت السنة الجديدة عند الطائفة الصابئية ، انطلقت الفتيات الى البراري لجمع النور الاحمر « شقائق النعمان » فيركزنه بالطين على مداخل الدور وغرفها في ثلاث بقع متساوية البعد عن بعضها بعضاً .

الذكور ، يسمونها طرائن (١) ويملأونها فواكه طريـــة ويابسة من الخوخ والتفاح ، والجوز واللوز ، والفستق والبندق ... الخ ، ويشعلون حولهـــا الشموع فتبقى مشتعلة طوال الليل ، دون ان يمسها احد ، فاذاكان الصباح أكلوا منها فرحين مستبشرين ، ورموا الطرائن في المياه الجارية وهي فارغة.

٢ً ـ العيد الصغير

ويسمونه (دهوه حنينه) وهو العيد الذي جمّد فيه جبرائيل الارض بعد أن كانت غازاً (٢) ومدته الشرعية يوم واحد ، والكيفية يومان ، ويقع بعد العيد الكبير بمئة وثمانية عشر يوماً ، وتقدم فيه القرابـــين عن ارواح الموتى بابتهاج ، وتقام اعمال البر والإحسان ؛ ويجري فيه تعميد المؤمنـــين ، ومن شاء من المندائيين المتدينين . اما العامة فيجري تعميدهم في عيد آخر .

٣ً ـ عيد البنجة Punja

ويسمونه « دهوه برونايا » ويستغرق خمسة ايام ، كما يدل عليه لفظـــه الفارسي ، وهي الايام الخمسة التي تكبس بها السنة ، لان شهورهم ثلاثون يوماً ، وهو يقع بعد العيد الصغير بأربعة اشهر ، ويكون غالبـــاً في العشرة الاولى من نيسان ، وفيه تفتح ابواب عالم الانوار (آلمي دنهورا) فتظـــل مفتوحة آناء الليل واطراف النهار ، فتجوز فيه الصلاة والذبح ليلا ، في حين انهما لا يجوزان في سائر ايام السنة إلا نهاراً ، ويتقبل (الإله) دعوات المؤمنين الصالحة في ايام هذا العيد ، ان كانت خارجة من قلوب مفعمة بالإيمان الصحيح

---

(١) مفردها طريانة .

(٢) يعتقد الصابئة أن الله أراد أن يخلق العالم فجعله من ماء أولا ، ثم أمر جبرائيل فهبط اليه وجمده ، وجعله تربة كما هي .

(مؤمن) يعمد جماعة من الصابئة في (عيد البنجه)

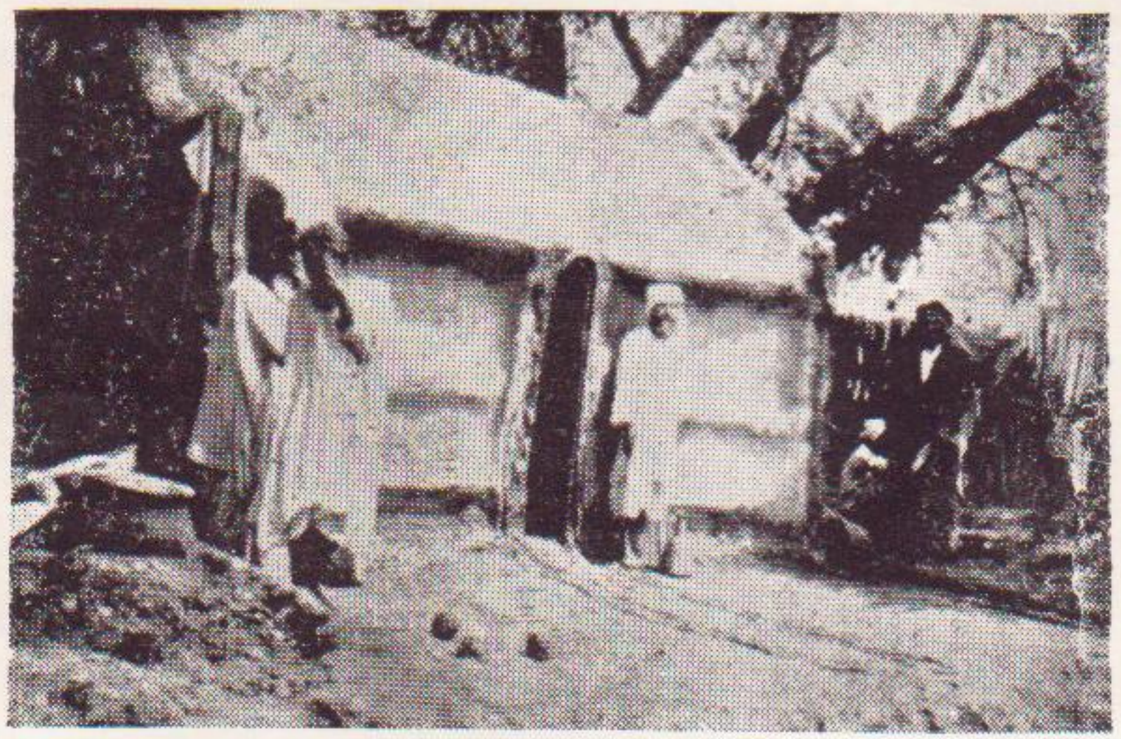

معبد الصابئة (المندي) وقد وقف على بابه (الكنزبرا)

امام الصفحة ١٢٠

و (البنجة) عيد ديني أكثر منه عيد بهجة وفرح ، ففيه يجري تعميد ابناء الطائفة جماعات ووحداناً ، رجالا ونساءاً ، على غرار عماد نبيهم يحيى (ع) والصابئي الذي يكون بعيداً عن رجال دينه ، يتحتم عليه الشخوص إلى حيث يقيمون ، ليجري تعميده فيه ، ومواضع العبادة « اي المنـــدي (١) » إنما تنشأ قبيل هذا العيد ليتم تعميدها أثنائه(٢) ، ورجل الدين الذي يريد أن يترقى من منصبه إلى منصب آخر أرفع درجة ، إنما يجري ذلك في أيام عيد

---

(١) المندي هو معبد الصابئة الذي تحفظ فيه كتبهم المقدسة ، وتعقـــد في بهوه مجالسهم الروحية ، ويجري عنده تعميد رجال الدين . وهو يقوم عادة على الضفاف اليمنى من الأنهر الجارية ، ويبنى من حزم القصب والبواري ، ويطلى من داخله بالطـــين الحر ، وتكون له نافذتان مع باب واحد ، يقابل الجنوب ليستقبل الداخل اليه نجم القطب القائم تحت عرش الرب ، ولا يجوز لغير رجال الدين الدخول فيه خلال ساعات العمل الديني . أما النساء فلا يسمح لهن بدخوله مطلقاً اذ في معتقدهم « أن النساء جميعاً غير طاهرات ، وأنه لا حق لهنّ مطلقاً بدخول المعبد » .

ولا بد من وجود بئر متصلة بماء النهر الجاري عند مدخل كل مندي « في الصحن الذي يحيط به » ليجري تطريس « تعميد » المؤمنين فيه . وقد كان للصابئة ستة معابد « مندي » في العراق : اثنان في قلعة صالح ، وواحد في كل من العمارة ،والمشرّح ،والناصرية،وسوق الشيوخ ، فتقوضت الاربعة الاخيرة ، ولم يبق الا معبدا « قلعة صالح » وهم يسعون لاقامة مندي جديد في بغداد لكثرة النازحين اليها ، وضرورة وجود معبد دائم لهم فيها .

(٢) يجري تعميد الـ « مندي » على نحو خاص ، فان عدداً من رجال الدين الصـــابئي يدخلون المعبد قبل استخدامه في امورهم العقائدية ومعهم رحى وحمامة وقدراً معلوماً من البرّ والسمسم المقشّر فيشرع أحدهم في طحن البرّ وينشغـــل الآخرون في استخراج دهن السمسم ثم يذبحون الحمامة ويصفّون دمها على أقراص صغيرة من الخبز الرقاق الذي يعملونه من البر المذكور بأن يقطروا اربع قطرات على كل قرص من الدم واربع قطرات من الدهن ثم يدفنون الحمامة في الـ « مندي » ويستعملون الاقراص في امورهم الدينية فيأكل كل شخص قرصاً واحداً فيقيه من الشرور ويسبغ عليه البركة .

البنجة ، دون غيرها من الأيام، وإن جوّزوه في بقية الأعياد أحياناً ، والمحتضر في أيامه يتمنى زهوق روحه قبل انقضائهـــا لتمر في « المطرائي » من دون عذاب ولا حساب ، كما أن أهله يتمنون الوفاة له في هذا العيد ليتخلصوا من نفقات أعمال البر ، التي تقام لروحه في سائر الأيام ، ودهن السمسم المقدس الذي يدهن به المؤمنون المعمدين من أبناء الطائفة ، يستخرج في هذا العيد، وعلى كل يتحتم على كل صابئي أن يقدم القرابين ،ويقيم الولائم عن أرواح الموتى من أقاربه وأصدقائه ؛ حتى معارفه ، في أيام البنجة .

ويقول الصابئون أن كل يوم من أيام هذا العيد الخمسة ، يختص بشخص من الـ ٣٦٠ شخصاً السماويين ، فاليوم الأول لـ (آنوش أثرا) والثاني لـ (شيشلام ربّا) والثالث لـ (يوخاشار كنّة) والرابع لـ (نابوت زيوا) والخامس (بهرام ربا) وكان هؤلاء الاشخاص الخمسة قد خلقوا في أيام البنجـــة الخمسة ، وسموا بأسمائهم فيه . كما كانوا يطوفون حول العرش الجليل، يسبحون بحمده وهم بأثوابهم البيض . ولهذا يلبس علماء الدين الألبسة البيض فيه للدلالة على نقاء سريرتهم ، ويمشون حفاة ، لأن الأحذية تعمل من جلود الحيوانـــات الميتة ، فهي نجسة ، ويرتمسون في الماء الجاري يومياً ثلاث دفعات قبل الطعام أي قبل كل وجبة ، ولا يأكلون من اللحوم غير لحم الضأن .

٤ً - عيد يحيي

ويسمونه (دهوه ديمانه) وهو يوم واحد يلي عيد البنجة بستين يوماً(١) أي يقع في الثامن أو التاسع من حزيران ، ويقولون إن آدم (ع) قد عمد في

---

(١) تقول السيدة دراور « وفي قولها وهم ظاهر » ان هذا العيد يلي عيد البنجة بتسعين يوماً راجع كتابها The Mandaeans of Iraq and Iran P.91 London 1937

هذا اليوم بأمر من (ملكا ربا دنهورا) فهو عيد مقدس يوجب التعميد على المؤمنين ، وفيه كانت ولادة النبي يحيى (ع) وحيث انه يقع في بداية الصيف ، فهو أحسن المواسم لتعميد الأطفال لأول مرة ، أما من يتعمد فيه من أبناء الطائفة فإنه يكتسب أجر ستين تعميداً إذا كان ثوب اعتماده (الرسته) جديداً

وقد صادف حلول هذا العيد في عام ١٩٥٤ يوم الجمعة الموافق ٤ حزيران فتفضل (الكنزبرا) الشيخ عبد الله بن الشيخ سام وسمح لنا بالحضور في داره الواقعة بجوار السفارة البريطانية في الكرخ من بغداد ، حيث أجرى تعميد الشيخ دخيل ابن الشيخ عبدان ، وجماعة من المؤمنين في دجلة ، كما ذبح دجاج كثير على مشهد منا ومرأى .

عدد الصابئة

قلنا في موضع آخر أن الصابئي لا يكون صابئياً ما لم يولد من أب وأم صابئيين وأن الصابئة لا يسوّغون زواج الصابئية من الأجنبي ، ولا زواج الصابئي من أجنبية ، لئلا يختلط الدم ، ويضيع النسب .

وقد أدى هذا التشدد في محافظة نقاوة الدم ، إلى جعل هذا الفريق من البشر محصوراً في العدد ، آخذاً بالتناقص سنة بعد اخرى ، حتى أن الباحثين في تاريخ الأقوام والسلالات ، يرون أنه قد لا يمرّ قرن واحد حتى ينقرض الصابئون من سفر الوجود ، ولا يبقى لديانتهم إلا الذكر التاريخي هذا إلى أن حالتهم الإجتماعية ، وعادات الزواج عندهم ، وما تتطلبه من تعميد في الماء الجاري ، سواء أكان الوقت صيفاً أم شتاءاً ، وكذلك تغسيل المحتضر وتكفينه قبل زهوق الروح من جسده ، وضرورة اغتسال الصابئي في الماء الجاري للتطهر من الجنابة ونحوها ، كل ذلك من شأنه أن يعرض هذا

القوم إلى الأمراض التي تؤدي إلى الوفاة حتما فالانقراض .

مرّ الرحالة الفرنسي (تافرنيه) بمدينة البصرة في آذار ١٦٥٢م فقيل له إن أتباع القديس يوحنا المعمدان « وهم الصابئة » القاطنين في البصرة وأطرافها يومئذ يقدرون بخمسة وعشرين ألف عائلة (١) فإذا فرضنا أن العائلة تتكون من خمسة أفراد ، كان عدد نفوس الصابئة قبل ثلاث مئة سنة ، مئة وخمسة وعشرين ألف نسمة ، ولكن هذا العدد أخذ يتناقص ويتضاءل بفعل العوامل المذكورة حتى أصبح عشرة آلاف نسمة كما يقول رؤساؤهم و ٦٥٩٧ نسمة كما ينطق به الإحصاء الذي أجرته الحكومة العراقية في ١٩ تشرين الأول سنة ١٩٤٧م وهم موزعون بحسب هذا الإحصاء على الألوية الآتي ذكرها .

اسم اللواء	الذكور	الإناث	المجموع
لواء بغداد	٥٠٨	٣٨٧	٨٩٥
لواء الحلة	١٧	٥	٢٢
لواء الديوانية	٩٧	٢٧	١٢٤
لواء الناصرية	٣٩٣	٣٩٨	٧٩١
لواء البصرة	٦٨٠	٤٦٤	١١٤٤
لواء العمارة	١٤٣٠	١٦٨٥	٣١١٥
لواء الكوت	٨٨	٧٢	١٦٠
لواء ديالى	٦٠	٢٨	٨٨
لواء كركوك	٢٤	١٧	٤١
لواء الموصل	٥٢	٣٦	٨٨
المجموع	٣٣٤٩	٣١١٩	٦٤٦٨

1 Tavernier, les Six Voyages, P. 90 Paris 1713

ولهم أفراد قليلون في كل من ألوية : السليمانية ،وإربل،والدليم؛وكربلا بحيث يصبح المجموع (٦٥٩٧) نسمة . كما أن لهم في مدن إيران الساحلية،في جنوبي العراق ، نحو ألف نسمة . أما ما ذكره السيد نقولا سيوفي من أن عددهم في عام ١٨٧٧ لم يتجاوز الأربعة آلاف نسمة (١) فقدكان كلامـاً مطلقاً لا يستند إلى إحصاء رسمي .

وفي « المجموعة الإحصائية السنوية » التي أصدرتها « وزارة الاقتصاد » في العراق لسنة ١٩٥٦ ان مجموع عدد الصابئة في العراق في السنة المذكورة كان (٦٥٩٧) نسمة بينهم (٣٤٢١) من الذكور و (٣١٧٦) من الإناث

وهؤلاء الصابئة العراقيون ينتمون إلى قبائل بعضها كبـير ، والبعض الآخر صغير ، ويقول رؤساؤهم إنهم ينتمون إلى ٦٢ قبيلة لم يبق منها غير الآتي أسماءها :

١ ـ قبيلة (المندوية) وتقطن في العمارة .

٢ ـ قبيلة (الخميسية) وتقطن في قلعة صالح ، والقرنة ، وهي أكبرها

٣ ـ قبيلة (ألبو زهرون) وتقيم في الناحيتين : المسيعيدة والحلفاية .

٤ ـ قبيلة (المسودنية) وتقيم في ناحية المجر الكبير .

٥ ـ ألبو كلمش : ويقيمون في ناحية الكحلاء .

٦ ـ قبيلة (الجحيلية) وتقيم في المدينة (بالتصغير) والشرش، والقرنة

٧ ـ قبيلة (الكيالين) وتقطن في البصرة ونواحيها .

٨ ـ قبيلة (البنكانية) وتقيم في البصرة وأطرافها .

٨ ـ قبيلة (الدهيسية) (بالتصغير) وتقطن في الناصرية .

١٠ ـ قبيلة (ألبو سبتي) وتقيم في سوق الشيوخ .

---

1 M. N. Siouffi : Études Sur La Religion Des Soubbas p.158-paris 1880

١١ ـ قبيلة (ألبو مهنا) وتقيم في سوق الشيوخ أيضاً .
١٢ ـ قبيلة (ألبو عزّاز) وتقطن في أطراف سوق الشيوخ .
١٣ ـ قبيلة (السيفية) وتقيم في سوق الشيوخ
١٤ ـ قبيلة (البريجية) وتقطن في الجبايش

مساكن الصابئة

كان الصابئون في أيام خلفاء بني العباس ، منتشرين في كثير من بلدان الشرق القائمة على ضفاف الأنهر ، لأن طقوسهم الدينية ، وسننهم الاجتماعية تحتم عليهم الارتماس في الماء الجاري ، سواء أكان الفصل صيفاً أم شتاء كما قدمنا ، وكان لهم في حرّان مركز دعاية كبير ، وإن لم يكن كثير الماء .

قال أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود المتوفى سنة ٧٣٢هـ (١٣٣١م) .

« وكانت حرّان مدينة عظيمة ، وأما اليوم فخراب . قال في المشترك : وحران مدينة مشهورة تعد من ديار مضر ـ بالضاد المعجمة ـ قال ابن حوقل: وهي مدينة الصابئين وبها سدنتهم السبعة عشر ، وبها تل عليه مصلى للصابئين يعظمونه ، وينسب إلى ابراهيم ، وهي قليلة الماء والشجر . قال في العزيزي: والجبل منها في سمت الجنوب والشرق على فرسخين ، وتربتها حمراء، وشرب أهلها من قناة تجري من عيون خارج المدينة ، ومن الآبار، وهي والرقّة من ديار مضر »(١) .

ولكن لكثرة الاضطهادات التي لحقت بهذا الفريق من البشر فقد أصبح محصوراً في أماكن معينة من المدن القائمة على سيفي دجلة والفرات في جنوب

---

(١) تقويم البلدان ص٢٧٧ (باريس ١٨٤٠) .

العراق ، وفي بعض مدن إيران الساحلية القائمة على النهرين : كارون والدز ، وأهم هذه المدن : العمارة ، وقلعة صالح (١) والزجيـــة « الزكيـــة » والعزير - بالتصغير - والقرنة - موضع اقتران دجلة بالفرات - والشرش ، والمدينة - بالتصغير - ونهر صالح ، والجبايش ، والحمار ، وكرمة بني سعيد ، وسوق الشيوخ ، وناصرية المنتفق ، والبصرة . أما أهم المدن الساحلية الايرانية التي يقطنوها فهي . المحمرة وششتر ، ودزبول ، وناصرية الأهواز ، ويقال لها ناصرية العجم .

ولما احتل الجيش البريطاني بغداد في ١١ آذار سنـــة ١٩١٧م ، ظعن لفيف من الصابئين إلى بغداد ، ثم إلى سائر مدن العراق المهمة طلباً للرزق ، كما نزح لفيف آخر إلى عواصم جمهوريات سورية ، ولبنان ، ومصر ، وإلى أمهات مدن العالم وحواضره ، للغرض نفسه ، متسامحين في أمر الرسوم الدينية التي تفرض عليهم الارتماس في المياه الجارية ، مكتفين بأخذ مياه الغسل من الينابيع والكهاريز المتصلة ببعضها ، خارجين على بعض الطقوس في أحايين كثيرة ، فهم مثلا يحلقون لحاهم وشعور رؤوسهم ، ويساكنون أبناء الطوائف الأخرى ، ويأكلون من ذبائح غيرهم ، ولا يتوقفون عن استعمال الخمرة والميسر ، وكل ذلك مما حرمته عليهم شريعتهم ، كما سبقت الاشارة اليه .

« وينفر هؤلاء الصابئة من اللون الأزرق النيلي بل لا يلامسونه قط ، وسبب ذلك أن بعض اليهود علموا بأن شريعتهم سيبطلها ماريوحنّا فأخبروا مواطنيهم بالأمر فلما فهم هؤلاء ذلك ، ورأوا أن ماريوحنا قد استعد لتعميد

---

(١) قلعة صالح مدينة صغيرة تقع على مسافة ٤٥ كيلومتراً من العمارة جنوباً ، بينها وبين البصرة ، فيها زهاء خمسة آلاف نسمة ثلثهم من الصابئين الذين بنوا معابدهم في غربي هذه القصبة

المسيح ، بحثوا في حالة غضبهم عن كمية كبيرة من النيل ورموهـــا في نهر الأردن فتلوثت مياه النهر وبقيت غير طاهرة مدة ، وكاديتعرقل عماد المسيح لولا أن الله أرسل ملائكته ومعهم إناء للماء كبير أمرهم بملئه من نهر الأردن قبل أن يلوّثه اليهود بالنيل ، وكان من ثمة أن الله لعن هذا اللون خاصة »(١)

صناعة الصابئة

أما صناعة الصابئة فهي على الأغلب صياغة الميناء .

والميناء « من المينة » لفظ فارسي معناه صناعة جوهر الزجاج، وهو اسم لأكاسيد معدنية تصهر بمادة زجاجية ، وتزين بها الحـــلي وأواني الذهب والفضة ، فتكسبها رونقاً وجمالا ، وهي من الصناعات التي كانت وما زالت موضوع إعجاب الناس في مختلف ديارهم .

وصناعة الميناء قديمة ، عرفها الطورانيون الأقدمون ، وتناقلهـــا عنهم المصريون ، والفينيقيون ، ثم انتقلت إلى الهنود والفرس ثم إلى البيزنطيين ، وقد انتشرت في الشرق والغرب معاً حتى بلغت أوج كمالها في نهايـــة القرن السادس عشر للميلاد .

وهي إما شفافة كالزجاج ، يخترقها النور وتحكي عما وراءها وإما كثيفة تزين بها سطوح الأجسام فتشبه الخزف الصيني ، وكلا النوعين يمتاز بكونه ذا ألوان متعددة . وهي تستعمل لوجوه الساعات التي تثبت عليها الأرقام .

أما طريقة عملها فتكون بسحق الأجزاء المطلوب مزجها بكميات معينة كل على حدة ، سحقاً جيداً ، ثم توضع على النار فتصهر حتى تسيل في بوتقة مغطاة أربع مرات ، حيث ترفع في كل مرة لتسكب بالتدريج في ماء إلى أن

---

1 Les Six Voyages de J. B. Tavernier

تتصلب الأجزاء فيسهل سحقها ، وتجري من وراء ذلك عملية التخطيط على الأجسام بالصور المطلوبة ، والنقوش الجميلة .

وقد تخصص القسم الأغلب من الصابئة بهذه الصناعة حتى أبدعوا فيها ، وأتقنوا فن نقل الصور بضبط ودقة ، فهم يستطيعون نقل الصورة الشمسية على علبة السيكارة مثلا ، أو على خاتم صغير ، فتخال إلى الناظر كأنها قد دبت فيها الحياة . وتكاد هذه الصناعة تنحصر فيهم في الوقت الحاضر ، لأنهم يحرصون غاية الحرص على حفظ أسرارها ، ولا يبوحون للغير عنها .

ويجيد البعض الآخر من الصابئة صناعة القوارب الخشبية على اختلاف حجومها وأوساقها : كالطراريد (جمع طرادة) والمشاحيف (جمع مشحوف) والأبلام (جمع بلم) والسوج (جمع ساجية) التي يكثر استعمالها في جنوب العراق ، ولا سيما في الأهوار ، كما أن بعضهم يمتهن الحدادة ، ويصنع الخناجر ، والآلات الجارحة ، وهناك من يحترف صناعة الألبان ، ولكنهم أقلية ضئيلة .

ولا بد من القول أن شباب الصابئة ، الذين تحللوا من قيود شريعتهم ، التحق بالمدارس والمعاهد المختلفة ، فتخرّج فيها حتى أصبح منهم من يمتهن الطب ، والصيدلة ، والمحاماة ، والهندسة ، والتدريس كما أن لفيفاً آخر التحق بكليات الغرب ، فاكتسب دراسة راقية ، ومعلومات نافعة ، إلا أن هؤلاء ما زالوا يترسمون خطى رؤسائهم الروحانيين ؛ ويفخرون بالانتساب إلى دينهم القديم .

الموت والجناز

عقيـــدة الموت

يعتقد الصابئة أن الموت ارتحال وانتقال ، لا فناء واندثار، فالروح بعد أن تخرج من هذا العالم لا تفنى ولا تنعدم ، وإنما تنتقل من عالم إلى آخر حتى تتصل بعالم الأنوار « آلمي دنهورا » إن كانت طيبة « حيث تبقى حية مخلدة في ذلك العالم النوراني متنعمة بأنواع الملذات » وتنتقل إلى صنوف العذاب ان كانت خبيثة ، وربما كان تعذيب هذه الروح بإلباسها شكلا آخر ، واظهارها في جسم من الأجسام ، الذي يكون وجودها فيه عذاباً وشقاءاً . فالعذاب في نظرهم - مهما كان نوعه - انما هو تطهير للروح من أدران الذنوب ، وهذا ما جعل لفكرة التناسخ أصلا عندهم على الصورة التي يعتقد بها غلاة المتصوفية من رسخ ومسخ وفسخ ونسخ (١) .

تغسيل المحتضر وتكفينـــه

أما الرسوم الدينية التي تجري لفقيد الصابئة « المندائية » فإنها تقام قبيل خروج روحه من جسده ، لأنهم يعتقدون بأن الروح طاهرة فلا بدّ لها أن تخرج من بدن طاهر ، وهذا ما فرض عليهم تغسيل المحتضر وتكفينه ، وهو في حالة النزع ، لتخرج روحه من جسده ، وهو طاهر ، فإذا مات نجس ، وحرم مسه ، ومن لمسه لا يطهر ، حتى وان اغتسل بمياه البحـــار مراراً ،

---

(١) الرسخ : انتقال النفس الناطق من بدن الانسان الى الاجسام النباتيـــة ، والمسخ : انتقال النفس المذكورة من بدن الانسان الى اجسام الحيوانات ، والفسخ : انتقـــال النفس الناطق من بدن الانسان الى الجمادات ، والنسخ : انتقال هذه النفس من بدن انساني الى بدن انساني آخر .

أو تعمد تكراراً .

وعلى هذا اذا ظهرت امارات الموت على أحدهم ، نزعت عنه ثيابه ، وأخذ الى الماء الجاري في نهر ، أو ساقية ، أو جدول ، فيغسله « الحلالي » بمشهد من « الاشكندي » أحد معارفه ، متجهاً به نحو الجدي ، ويكفنه باللباس الديني « شبيه بالرسته » ثم يعيده الى فراشه بحيث يكون رأسه مقابلا نجمة القطب فيبقى حتى يوافيه أجله . وقبيل أن تزهق روحه ، يضع على رأسه اكليلا صغيراً من عود الآس الأخضر فإذا زهقت الروح خاط الكفن عليه ، ولفه بالقصب ، تمهيداً لإرساله الى مثواه الأخير ، على أن تمضي ثلاث ساعات على زهوق الروح ، فإن انتهت هذه الساعات الثلاث بانتهاء النهار ، حفظت الجنازة في بيتها الى صباح اليوم التالي . ومنهم من يغسله في بيته بالماء الفاتر ، اذا كان الفصل شتاءاً بارداً ، وبالماء العادي اذا كان الفصل صيفاً او معتدلا . أما الزعم بأن المندائيين يخنقون المحتضر قبل أن تزهق روحه فلا صحة له مطلقاً .

أما من مات قتلا ، أو غيلة ، او بسكتة قلبية ؛ او بتصلب في الشرايين ؛ فإنه لا يغسل ، لأن الغسل موضوع عندهم لمن به روح ، فإن فارقت الروح الجسم ؛ اصبح الجسد كالطين المجبول ، لا يطهره الماء ، ولا يؤثر فيه الاعتماد وفي مثل هذه الحالة يوافيه مؤمن من درجة « كنزبرا » فيقوم بواجب التعميد والتكفير ، لأن الموت الفجائي يجعل الميت في عداد من مات بدون رسوم الجناز ، على انهم اخذوا يتسامحون اخيراً فصاروا يغسلون الميت على هذه الصورة ، حتى اذا حل « عيد البنجة Punja » اقيم له ترحيم ديني خاص يسمونه (مشخثة Mishkhitha) للتكفير عنه .

وفي الوقت الذي يُشغل اهل الفقيد بتهيأة أسباب دفن فقيدهم ؛ ينعاه احد

أقاربه إلى مؤمن من درجة (ترميده) فيوافيه هذا بكتابهم الكبير (سدرا آدم) وبعلمٍ على هيأة الصليب ، له كسوة من القز الأبيض يسمونه (دربشاديهيه) اي علم يحيى ، فيغرس العلم في فناء الدار، ويشرع في تلاوة نصوص مستخرجة من الكتاب المقدس يستنزل فيها شآبيب الرحمة والبركة على روح الميت (١).

نقل المتوفى

اما الطقوس المقتضاة لنقل المتوفى ودفنه ، فإنها تجري على وجه مخصوص

---

(١) نادرة طريفة أقصها على القارىء الكريم :

كنت في عام ١٩٢٢م تلميذاً في دار المعلمين ببغداد ، وكان في الدار المذكورة تلميذان صابئيان : أحدهما من اهل الناصرية ، يدعى « مسلم ضمد » والآخر من العمارة ، يسمى « غضبان رومي » وفي خريف تلك السنة اصيب « مسلم » بالتهاب الزائدة الدودية ، فأجريت له عملية مستعجلة واستدعي اهله الى بغداد ليكونوا بالقرب من ولدهم ، فظن هؤلاء ان العملية ستؤدي الى وفاة الولد حتما . وبعد خمسة ايام طلبت امه الى السلطات الصحية ان تسمح لها بأخذ ولدها ، لتجري عليه الرسوم والطقوس الدينية ، قبل ان تزهق روحه فيموت كافراً. فلم تر السلطات المختصة مانعاً من ذلك فسمحت لها بأخذ المريض المحتضر ، ولكن ماذا عملت به امه؟ هذا سؤال غريب ، واغرب منه جوابه !

اخذت الوالدة ولدها الى شاطىء « دجلة » ورفع اهله ورجال دينه الاربطة التي ضمدت بها جروح الولد ، وبدأوا يصبون الماء على تلك القروح ، وهي داملة، والولد يصيح ويستغيث ولكنه لم يجد من يشفق عليه ، وهكذا غسل « مسلم » وكفن ، وأعيد الى فراشه في انتظار زهوق روحه ، ومرت اربع ساعات والروح لم تزهق ، فتقدم احداساتذتنا الى سرير المحتضر ودس آلة الترمومتر تحت ابطه ، فلاحظ ان درجة الحرارة لا تنذر بالخطر ، فأخبر الاطباء بذلك فبادروا الى تضميد جروح التلميذ من جديد ، وكانت النتيجة انه ابل من مرضه بعد بضعة ايام ، واشترك في امتحان نصف السنة بنجاح ، وهو ما زال يدرس في المدارس الحكومية في لواء المنتفق ، ولله في خلقه شؤون .

وفي ص٢١ من المجلد الثاني من « مجلة اليقين » البغدادية الصادرة في عام ١٣٤٢هـ .

« مرض رجل اسمه عزت بن خنجر فغسل وكفن ، ثم برىء . وهكذا عمل ثلاث مرات بمرض ، فيشرف على اللحد ، فيشق الكفن ، وهو لا يزال حياً يرزق » اهـ .

فهم أولا ينصبون له (المندلتا) (١) في بهو الدار ، وبعد الطواف بالرفـاة حولها ثلاث مرات ، يحمل النعش - فوق رؤوسهم - اربعة من المؤمنين من درجة (حلالي) على أن يكونوا سالمين من العيوب الخلقية كافة ، فيمشون الواحد وراء الآخر ، وهم حفاة مرتدين لباسهم الديني (الرسته) ويسيرون به الى مرقده الأخير بين الصمت والخشوع ، لأن البكاء والعويـل على الميت محرمان عندهم . وكذلك يحرم لطم الصدور او رش التراب على الرؤوس ، وهم يعتقدون بأن كل دمعة تذرفها العين على أي فقيد تكوّن نهراً كبيراً في

« الاسكندولة » التي ترصد القبر وتحددة

طريق نفسه ، تكاد تعجز عن قطعه .

ويتحتم على احد (الحلالية) ان يختم قطعاً مستديرة من الطين بخـاتم مقدس عندهم يسمونه (اسكندولة) محلى بأربع صور من الحيوانات المؤذية

---

(١) يزعم المندائيون ان ارواح موتاهم تبقى مرفرفة في الفضاء ثلاثة ايام بعد الوفاة ، مترددة بين القبر والدار ولهذا يعملون لها « مندلتا » بعد الوفاة مباشرة ، ويضعون الى جانبها كأساً ، او طاسة من الماء . وهذه المندلتا عبارة عن ثلاث ربطات من القصب النظيف المقشر مشدودة الى بعضها شداً دينياً خاصاً ، ومختومة بالاسكندولة ، وهي لا تفض الا في ختـام اليوم الثالث للوفاة .

هي : الحيـــة ، والعقرب ، والأسد والزنبور وهي الحيوانات التي ترمز الى العناصر الأربعة ، التراب والماء والنار والهواء ، حتى اذا بلغ وأصحابه الجبّانة وضع الطين المختوم فوق موضع القبر الذي يختارونه له ، فيشرع الحفارون في حفره ؛ والترميدة يقرأ في كتاب الـ (سدرا ربّا) وأمامه العَلَمْ (الدرابشا) .

أما إذا كان المتوفى أحد رجال الدين ، فإن زملاءه يمشون خلفه حفاة ، حاملين كتبهم المقدسة فوق رؤوسهم ، وأمام الجميع علم يحيي ، اي (درابشا اديهيه) مرفوعاً إلى علو شاهق للإعلان عن شخصية الميت .

وسائل يسألنا : إذا عطش المحتضر أو طال امد احتضاره فاضطر الى شرب الماء او اخذ شيء من السوائل فما هو موقف ذويه الذين غسلوه وكفنوه وكانوا في انتظار زهوق روحه لتخرج من بدن طاهر ؟ والجواب على ذلك: إذا عطش المحتضر او احتاج الى شيء من السوائل قبل ان تفارق روحـــه جسده ، جيء له بماء طاهر من نهر جار على أن يحمله اليه رجل مؤمن طاهر أما إذا خرجت بطنه وهو بلباس الاحتضار فيجب غسل موضع الخروج بإتقان ، فإن احتلم وجب تغسيله في الماء الجاري مرة أخرى .

صفة القبر

أما القبر فيكون بشكل مستطيل ، وعمق يتراوح من ثلاثـــة الى خمسة امتار ، حسب صلابة الأرض ، وتحفر عنـــد موضع الرأس حفرة صغيرة ضيقة تسمى « لغم » فيدخل فيها رأس الميت الى صدره ، بحيث يكون مستلقياً على ظهره ، ووجهه ورجلاه متجهة نحو الجدي ، حتى اذا بعثت الجثـــة ، واجهت هذا الكوكب الثابث بالذات ، ثم تصف الأحجار على كفنه ، من صدره الى أخمص قدميه ، وحينما ينتهي (الترميـــدة) من قراءة النصوص

الدينية الخاصه بالدفن ، يلقى حفنتين من التراب على جسد الميت ، ثم تنهال الأتربة عليه دون أن تشيد بنية فوقه .

وللصابئة أسطورة يتناقلونها عن سبب وضع الحجارة على أكفان موتاهم مباشرة ، قد لا تخلو من طرافة ، فهم يزعمون أن كثيراً من آبائهم القـــدماء عمدوا الى نبش قبور موتاهم ، ليتفقدوا أوضاعهم ، فوجدوا ان اكفانهم قد تجمعت في أفواههم ، وان هذه البادرة النحسة أدت الى ان يتوفى اهل بيوتهم تباعاً ، وبسرعة فائقة ، فلكي لا يسرع الموت الى اهل الميت ، يضعون الأحجار على صدره لهذه الغايـــة ، ويضعون في فمـــه قليلا من تراب أول حفرة تحفر لقبره ، كما أنهم يضعون مع الميت قطعتين صغيرتين احداهما من الفضة ، والأخرى من الذهب على أن يكون زنة كل منهما ١ـ١٦ من المثقال

اما سبب وضع التراب عليه مباشرة ، فسنّه عمل بها « مندائي) لما أهال حفنتـــين من التراب على جسد الرسول الأعظم عندهم ، يحيى بن زكريـــا فكانتا قبراً له .

المأتم

ومتى عاد المشيعون الى دار المتوفى ، اغتسل « الحلالية » ومن اشترك معهم في الدفن ، وعمّدوا الأدوات التي استعملت في الحفر والإقبار في الماء الجاري ، وأكلوا مما أعدّ لهم من طعام خاص لهذه المناسبة يسمونه «لوفاني» وعندها يقام مأتم لروح المتوفى في سبعة أيام متتالية ، ومثل ذلك في اليومين السابع والثلاثين والخامس والأربعين للوفاة .

وحرام على زوجة الفقيد ان تقص شعرها حداداً على بعلهـــا ، او ان تندبه بالبكاء والعويل ، لأنها ترتكب بعملها هذا إثماً لا يغتفر . وهم يعزون

عقيدتهم هذه الى ان يحي أوصى زوجته ـ حين أدركته الوفاة ـ بأن لاتبكي ولا تحزن عليه ، بل تبقى على بشاشتها ، وتطلق صوتها بالفرح عليه، لا بالويل والثبور ، فكان لزاماً على أتباعه أن يترسموا خطاه في مثل هذه الأحوال ، ومن هنا أصبح الموت عندهم مدعاة للسرور ، وليس للحزن ، وأصبح يوم المأتم اكثر فرحاً من يوم الزفاف . وعلى الرغم من ذلك كله ، فإن العوام من الصابئة ـ لتأثرهم بالمحيط الإسلامي الذي يعيشون في كنفه ـ اصبحوا يندبون موتاهم، وقد يخطئون فيبكونهم أيضاً، إلا إذا كان المتوفى من المؤمنين فإنهم لا يتسامحون في أمر الدين قيد أنملة .

وقد حتمت الشريعة المندائية قبر الميت حيث يموت ، فلا يجوز نقله إلى بلد آخر ، كما لا يجوز العبور به على نهر جار .

ما بعـــد الموت

في معتقدهم أن الصابئي « المندائي » إذا مات ، استقبله ملكان : يدعى أحدهما (صارويل شرويه) ويسمى الثاني (قاميز زيوا)وهما ناقلا الأرواح فيحاسبانه على عمله في دنياه ، حسناً كان أم سيئاً (١) فإن كان من أصحاب الأعمال الحسنى ، فان روحه تذهب إلى عالم الأنوار «آلمي دنهورا» من أقرب طريق تقطع فيه العوالم السبعة ، في خمسة وسبعين عاماً ، وتنتهي في الميزان

---

(١) « بخصوص العالم الآخر : يعتقدون ان هناك الجنة ، ويسمونها آلمي دنهوره وترجمتها عالم النور ، كما هناك نار ويطلق عليها أور، ويتصورونها مخلوقاً كبيراً يبتلع الاشرار، وبين الجنة والنار شيء ثالث يسمونه ـ المطراثي ـ أي المطهر ، وفي هذا المحل تعذب الارواح التي ارتكبت ذنوباً بسيطة ، ويكون عذابها لامد محدود ثم تنتقل منها الى مواضعها في عالم النور . ويعتقدون ان أور الذي يلتهم الاشرار يأتي من عالم الشياطين، وان عالم النور مملوء بالملائكة الصالحين » .
الاستاذ عبد الجبار « الصابئي » في كتاب « العراق في القرن السابع عشر » ص١٠٨

الذي نشاهد نجماته في السماء ، ولكن في عالم الأنوار ،فتوزن فيه الروح ، ثم يسمح لها بالدخول في عالم الأنوار .

وأول روح وزنت في هذا الميزان ـ في اعتقادهم ـهي روح شيث بن آدم (ع) الذي مات قبل أبيه ، لأن الله تعالى طلب إلى آدم أن يلبي دعوتـه فأبى ، وكان عمره إذ ذاك ، ألف سنة ، وطلب أن يعيش ألفسنة أخرى أما عمر ابنه شيث فقدكان ثمانين عاماً ، ولم يكن ليتزوج ، وبذلك أصبح عمر البشر غير محدود . فيموت الطفل ، والشاب غير المتزوج ،والشيخ الهرم على ما هو جار عندنا اليوم ، ولو أن آدم كان قد قبل أن يموت ؛ عنـدما طلب اليه الرب ذلك ، لأصبح للبشر عمر محدود ، ينتهي بالموت .

أما اذا كانت روح المتوفى خبيثة ، فانها تبقى في العذاب بنسبـة ما تستحق . ولا تقتصر أنواع العذاب عندهم على الإدخال في النار حسب ،بل هي تختلف باختلاف الآثام التي ارتكبها الإنسان ، فقد تكون العقوبة بحبس الروح في موضع لا هواء فيه ، او بضبطها بين جبلين ، او بتعذيبها في النار ، او بنحو ذلك ، فاذا تحللت من الذنوب ، وقطعت العوالم السبعة في مـدة تتناسب مع عذابها ، وصلت الى الميزان فتوزن فيه كسابقاتها .

المعاد

المعاد هو الحياة الآخرة ، التي تحيى بهـا النفس في عالم الأنوار « آلمي دنهورا » وتتنعم بما يتنعم به القديسون والروحيون هناك ، والناس صائرون كلهم الى هذا العالم النوراني اما رأساً ، اوبعدتطهيرهم من خطاياهم بالعذاب المتناسب مع الآثام التي ارتكبوها في هذه الدنيا الفانية(١) .

(١) « اما انواع العذاب عندهم فتختلف باختلاف انواع الجرائم : فمنهـا ان توضع نفس المجرم في كظم اور ، اي في مجرى نفسه ، فتتعاقب عليها نسمتان ، احداهما كـأحر

أما هذه الأرض التي نسكنها فتعود ، بعد ان تفنى وتندثر ، هي وعوالم الظلمة التي تستمد نورها من الشمس .

ويختلف المعاد عند الصابئة ، عنه عند المسلمين ، بأن الأولين يرون ان المجازات والعقوبات تجري في عالم قبل عالم الآخرة ، اما عند المسلمين فانهم يرون ان الثواب والعقاب يكونان في عالم الآخرة كما هما في عالم البرزخ المتوسط

ـ ما يكون من السموم ، وذلك عند اخراج النفس من صدره ، والاخرى كأبرد ما يكون من الزمهرير ، وذلك عند اجتذابه من الخارج . واصحاب هذا الصنف من العذاب هم الزناة .

« ومنها صنف يقال له ـ نورودياكو ـ اي نار الجحيم ، وهو تنور بالـغ من الحرارة ما تكون نارها عنده برداً وسلاماً ، فتعلق انفس المعذبين على جدران هذا التنور حيناً ، ثم تخرج منه ، ثم ترد اليه وهلم جرا ، وهو عذاب السارقين .

« ومنها ان يوضع المعاقب بين صخرين عظيمين فيضغطان عليه ضغطاً شديـداً حتى يتفلطح جسمه ويكاد يختنق ، ثم ينفرجان عنه فيعود الى ما كان عليه ، وبعد ذلك يعودان فيضغطان عليه ، ويكون ذلك ثلاث مرات كل يوم ، وهو عذاب من يخون شريكه .

« ومنها سلسلة تتدلى من سقف المكان ، فتشد بها عنق المذنب ، فيبقى منتصباً على قدميه لا يستطيع ان يثني ركبتيه ، ولا يتحول عن موقفه ، وهو عقاب اهل الضغائن .

« ومنها ان يلبس المجرم لباساً من الثلج ، وهو جزاء المتجسسين ، والـنمامين ، والذين يرمون الابرياء بالريب ، ويلقونهم بين ايدي الحكام .

« ومنها سلك من الحديد يحمى بالنار الى ان يحمرّ ، ثم يدخل في احدى اذني المعذب ، ويخرج من الاخرى على الدوام ، وهو عقاب من يسترق السمع .

« ومنها ان تملأ راحتا المعذب ناراً ، ويؤمر ان ينفخها بشفتيه ، حتى لا يخمد اشتعالها ، فتصير بذلك كفاه جمراً ، ولكنهما لا تحترقان ، وهو عذاب الكذابين .

« ولهم ضروب اخرى من العذاب لا نطيل باستقصائها ، تطول مدتها وتقصر تبعاً لعظم الجرم وكميته ، الا انه ليس شيء منها بخالد على المجرم الا من قتل نفساً ، او كان سبباً في قتل احد ، ولو كان قاتلا ، ومن كان علة في خروج احد الصابئة الى دين آخر ، بأي حجـة كانت ، ومن زنى ببكر ، فان هؤلاء يكون عذابهم مؤبداً » اه .

مجلة البيان « القاهرة ١٨٩٧م » ص٢٤٥ ج١

يشترط فيمن أراد التصرُّف بتركته من بعد وفاته ، بحسب وصيته ، ان يكون قد أحسن في حياته الى المحتاجين والمعوزين ، بصورة سريـــة ، وهم يبالغون في سرية الصدقات حتى ليقولون «اعط باليمنى على ان لا تدري اليسرى» .

اما تقسيم المواريث فانه ليس من شرائعهم الدينية ، والذي يفرض عليهم هو جعل اكبر ابناء المتوفى مسؤولا عن آله وذويه ، فيتولى الصرف على هؤلاء من المال الموروث : منقولا كان ام غير منقول . غير انهم لتـــأثرهم بالمحيط الإسلامي الذي يعيشون في وسطه ـ اخذوا بالمواريث على ما جاءت به شريعة محمد بن عبد الله ﷺ وصاروا يعملون بالقسامات الشرعية التي يصدرها القضاة المسلمون عندهم . على انهم لا يورثون من صبأ عن دينه كأن أصبح مسلما او مسيحياً مهما كانت ثروة مورثه اعتقـــاداً منهم ان من يترك دينه كمن مات ولا ارث لميت .

المحرمات

يحرم على الصابئة إتيان عدد كبير من الاعمال الدنيوية ومن أهمها :

١ ـ القتل والقتال ؛ الا في حالة الدفاع عن النفس
٢ ـ الزناء واللواط
٣ ـ احتساء الخمر حتى السكر ، ولعب الميسر مطلقاً
٤ ـ الختان
٥ ـ حلف اليمين وإن كان صدقاً
٦ ـ مؤاكلة أصحاب الاديان الاخرى
٧ ـ الاكل والشرب والاشتغال قبل الاغتسال من الجنابة
٨ ـ لبس الازرق
٩ ـ قطع الطريق وسلب المارة
١٠ ـ النظر الى المحصنة بريب
١١ ـ الاشتغال في الاعياد ، وفي ايام الآحاد
١٢ ـ شهادة الزور
١٣ ـ الفتنة والغيبة والنميمة
١٤ ـ الرباو ربح الربا
١٥ ـ الحبس عن دين مهما كانت مدته
١٦ ـ خيانه الامانة
١٧ ـ حلق الذقن والشارب او الاخذ منهما . اما شعر الرأس فيسمح بقصه للعامة دون الخاصة .
١٨ ـ اكل لحم كل ذي ذنب . وتقتصر لحومهم على الخراف والدجاج والسمك والطير الحرّ

فهرست الشعوب والاعلام

(حرف الالف)

الاصطخرجي (أبو سعيد) ٣٨
الالمان ٣٢
الاقباط ٥٠
الامامية ٢٨
ابروق ٥١
ابراهيم (ع) ١٢ ١٣
ابتاهيل زهريل ٤٤ ٤٥
أبرويز ٣٦
ابليس ٤٦
ابن الاعرابي ٢٠
ابن حوقل ١٢٦
أبن خلدون ٢ ١٢
أبن العبري ٨٧ ٩٣
ابن الفوطي ٣٨
ابن القفطي ٢ ٣٧ ٣٨
ابن منظور ٢ ١٩
ابن النديم ٢ ٢٩ ٣١ ٨٧ ٩٣
ابو زرارة ٣١
أبو زيد ٢٠ ٢٨
أبو حنيفة ٣٧ ٣٨
أبو علي ٢٨
أبو عروبة ٣١
أبو صادا ٦٢ ٦٣ ٦٤
أبو الفداء ٢ ٥٦ ١٢٦
ابو يوسف (صاحب ابي حنيفة) ٣٧
آتش اثرا ٦٤
أثرى (آنوش) ٤١ ١٢٢
أحمد زكي باشا ٣ ٥
اخنوخ ١٢
ادريس ١٣ ٢٤
آدم ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٩ ٥١ ٥٥ ٦٠ ٦١ ٦٩ ٧٠ ٧٢ ٩٢ ١١٦ ١٢٢ ١٣٧
آدو ٣٩
أدي‌شير ٣٨
آرامايي (بيت) ٣٩
اردوان ٥١
ارفخشد ٣٧
أرفكشاد ١٣
أرهسف ٥٠
أزداك ٥٠
اردشير ٥٠
الاسلام ٢٠ ٣٠ ٣١ ٣٦ ٣٨ ٥١ ٦٩ ٨٧
آشور ٢٠
الآشوريون ٨٧
اشقان ٥٠ ٥١
افلاطون ٣٤
اليصابات ٥٧ ٥٨ ٥٩

اليعازار ٤٠ ٤١ ٦٢ ٦٣ ٨٤
الآمدي (سيف الدين) ٢ ٢٣ ٢٧
انوشروان ٣٦
ام كشطا ٣٩
انشوي ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤
أوائار ٤١ ٤٣ ٤٤ ٤٨ ٥٤
أواذي ٣٤
أوشهنج ٣٧
اودون ملكا ٤١
ايليا ٥٨

(حرف الباء)

باهر (الشيخ) ١١٤
البابليون ١٤ ٥١ ٨٧
بيترمن ٧١
بدرية بنت جثير ١١٤
برزيم (ايكاب بن) ٥٠
برقوني (تيشودور) ٢٨
بنو ابلوط ٣١
بنو حذيمة ٢٠
بنو قيطرن ٣١
بني اسرائيل ٥٦ ٥٨ ٦٥ ٦٧
بهرام روبي ٩٧
بهرام ربا ٤٤ ٩١ ٩٧ ١٢٢
بوداسف ٣٧
البيدانية ١٣
بيدان ١٣
بونيون (هنري) ٢
البيزنطيون ١٢٨
بيت داود ٥٨
بيت يعقوب ٥٩

(حرف التاء)

تاوح (كاظم بن) ١٣
تافرنية ٢ ١٢٤ ١٢٨
الترك ٤٨
توفيق ٩٦
تيبان ٥٠

(حرف الثاء)

ثابت (سنان بن) ٣٠

(حرف الجيم)

جبرائيل ٤٥ ٤٧ ٥٨ ٧٢ ٧٨ ١٢٠
جسنيون ٢١
جوده (الشيخ) ٨٤

(حرف الحاء)

حام ٤٨
الحجاج ٣٦
الحرانية ١٣ ٢٩ ٣٦ ٣٧ ٤٢ ٨٧
الحرنانية ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٤ ٣٧
الحسني (عبد الرزاق) ٢ ٥ ٧ ٨
الحسني (الدكتور حسن) ٨٤
الحنفاء ١٣
حنة ٥٥
الحموي (ياقوت) ٢

حواء ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٩

(حرف الخاء)

الخليل (ابراهيم) ٦٩
خزعل (الشيخ) ١٠٤ ١١٤
خنجر (عزت بن) ١٣٢

(حرف الدال)

دارا ملكا ٦٤
دراورد (الليدي) ٢ ٧١ ٧٣ ١٢٢
داود (النبي) ٥٩
الدجال ٦١
دخيل (الشيخ) ٤٣ ٤٩ ٧٤ ٨١ ٨٣ ٨٤ ١٠٤ ١٠٥ ١١٤ ١٢٣
دبدا ٣٩
الدستانية ٣٩
الدمشقي (شمس الدين) ٢ ١٢

(حرف الراء)

الرازي (فخر الدين) ٢ ١٢ ٤٠
رام ٤٩ ٦٩
الرشيد (هارون) ٣٠
الرضي (الشريف) ٨٨
رود ٤٩
روهمايي (ابروق) ٥١
رومي (غضبان) ١٣٢
الرومانيون ١٠٥
الروم ٢٩ ٣٠

(حرف الزاي)

الزجاج (أبو اسحق) ٢٠
زرونيطا (الملك) ٥٠
الزمخشري ٦ ١٠
زكريا ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٦١ ٦٣ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٢ ٨٣ ٩٢ ١١٥
الزنادقة ٣٠
زهرئيل لالاتو ٦٣
زهرون (الشيخ) ٨١
الزبيدي ٢
زويمر (صموئيل) ٢ ٢١

(حرف السين)

سام (الشيخ) ٨١ ١٠٤ ١١٤
سام بن نوح ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٦٩
سام زيوا ٤٤
السدي ٢٩
السعيد (نوري) ٥
سكر (كريم بن) ١١٤
سولون ٣٤
السودانيون ٤٨
سنام ثابت ٣٠
سيوفي ٢ ٦٦ ١٢٥
سيمات هيي ٤٤
سليمان (حكمة) ١١٧
سهيم ١٠٤

(حرف الشين)

الشابندر ١١٤

حواء ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٩

(حرف الخاء)

الخليل (ابراهيم) ٦٩
خزعل (الشيخ) ١٠٤ ١١٤
خنجر (عزت بن) ١٣٢

(حرف الدال)

دارا ملكا ٦٤
دراورد (الليدي) ٢ ٧١ ٧٣ ١٢٢
داود (النبي) ٥٩
الدجال ٦١
دخيل (الشيخ) ٤٣ ٤٩ ٧٤ ٨١ ٨٣ ٨٤ ١٠٤ ١٠٥ ١١٤ ١٢٣
دبدا ٣٩
الدستانية ٣٩
الدمشقي (شمس الدين) ٢ ١٢

(حرف الراء)

الرازي (فخر الدين) ٢ ١٢ ٤٠
رام ٤٩ ٦٩
الرشيد (هارون) ٣٠
الرضي (الشريف) ٨٨
رود ٤٩
روهمايي (ابروق) ٥١
رومي (غضبان) ١٣٢
الرومانيون ١٠٥
الروم ٢٩ ٣٠

(حرف الزاي)

الزجاج (أبو اسحق) ٢٠
زرونيطا (الملك) ٥٠
الزمخشري ٦ ١٠
زكريا ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٦١ ٦٣ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٢ ٨٣ ٩٢ ١١٥
الزنادقة ٣٠
زهرئيل لالاتو ٦٣
زهرون (الشيخ) ٨١
الزبيدي ٢
زويمر (صموئيل) ٢ ٢١

(حرف السين)

سام (الشيخ) ٨١ ١٠٤ ١١٤
سام بن نوح ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٦٩
سام زيوا ٤٤
السدي ٢٩
السعيد (نوري) ٥
سكر (كريم بن) ١١٤
سولون ٣٤
السودانيون ٤٨
سنام ثابت ٣٠
سيوفي ٢ ٦٦ ١٢٥
سيمات هيي ٤٤
سليمان (حكمة) ١١٧
سهيم ١٠٤

(حرف الشين)

الشابندر ١١٤

شربا ٤٩ ٥٠
شرهبيل ٤٩ ٥٠
الشهرستاني (ابو الفتح) ٣ ٣٣٣
٣٥
شيت النبي ١٢ ٣٣١ ٣٣٤
شيشلام ربا ٤٣ ٤٤ ٣٣٣٣
شيت ٩٦ ١٣٧

(حرف الصاد)

الصابىء (ابو اسحق) ٣٨٨
صارويل (الملك) ١٣٣٦

(حرف الضاد)

ضمد (مسلم بن) ١٣٣٣

(حرف الطاء)

الطبرسي (الفضل بن الحسن) ٣ ٣٣٨
طروق ٥٠
الطورانيون ١٣٨
طهمورث ٣٧

(حرف العين)

عامر ١٠٤
عبادة (عبد الحميد) ٣ ٣٠٠
العباسيون ٥
عاديمون ١٢ ٣٣
العادل (انوشروان) ٣٣٦
عباد النار ١٧
عبد الرزاق ٩٦
عبد الله (الشيخ) ٨٨ ٣٨٦ ٤٠١
١١٤ ١٣٣
عبد الملك (مسلمة بن) ٣٦

عبد الجبار عبد الله ٥٥ ٩٦
١٠٠ ١٠٧ ١٣٢
العرب ١١ ٢٠
عطارد (اسم ثان للمسيح) ٦٠
عفان (عثمان بن) ٦٩
عواد (كوركيس) ٢ ٧
عيسى ٤٠ ٥٥ ٥٦ ٦٣
عيدان (الشيخ) ٤٩ ٨١ ١١٤

(حرف الغين)

غاريمون ٢٤
غضيان ٩٦

(حرف الفاء)

فاضل ٩٦
فانيس (الدكتور) ١١
فتاحيل ٤٣ ٥٣ ٥٤
الفراعنة ٥٠
فرج (الشيخ) ١٠٤ ١١٤
فرحان ٩٦
الفرس ١٤ ٣٦ ٣٧ ٥٠ ٥١
١٢٨
الفرنجة ٤٨
فروخ ملكا ٤١
فريدون ٥٠
فيروز ٣٦
فضلان (محمد بن يحيى بن) ٣٨
الفينيقيون ١٢٨
الفيومي ٢ ٢١

(حرف القاف)

القاهر (الخليفة) ٣٨
قباذ ٣٦
قتادة ٢٩
قريش ٢٠ ٦٩
القطيعي (أبو يوسف ايشع) ٢٩
قماميز زيوا ١٣٦
قنطار ١٣
القنطارية ١٣
قيقاس ٥٠

(حرف الكاف)

كانات ٤٧
كاسيا ٤٧
الكاظمة ١٣
كاظم ابن تارح ١٣
الكرملي (انستاس) ٢ ٧١ ٧٣ ٧٤ ١١٤
كفره قدمايه ٤٥
كركوم (اسرة) ٥٠
كيكسر ٥٠
كريموط (أردوان) ٤٩
كشكاسف ٥٠
الكليم (موسى) ٦٩
كنة (خليل) ٥
كنة (مجيد) ٥
الكنتيين ٣٩
الكلدانيون ٢١
الكميرانيون ٣٧

(حرف اللام)

لوقا ٥٧
ليدر باركي ٧١ ٧٢ ٧٣
ليفوروش ٥٠

(حرف الميم)

المأمون ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٦
ماريا ٤٠
ماري أدربوثا ٤٣ ٤٤ ٥٤ ٦٢ ٦٣ ٦٥
المتصوفة ١٣٠
المانويون ٣٩
المارقونيون ٣٩
ماهزيل مالا ٤٤
مجاهد ٢٩
مريم (ع) ٥٥ ٥٦ ٥٨ ٥٩ ٦٣
المجريطي (أبو سلمة) ٤٠
المجوسية ١٧ ٦٧
المجوس ٦ ١٠ ٢٨ ٢٩ ٣٠
محمد بن فضلان ٣٧
محمد النبي ١١٦ ١٣٩
المسلمون ٢٠ ٣٠ ٣١ ٣٦ ٣٨ ٤٢ ٤٤ ٤٦ ٥٢ ٦٧ ٨٨ ٨٩ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ١٠٢ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١١٦ ١٣٨ ١٣٩
المسعودي ٢ ١٦ ٣٧ ٣٨
المسيح ٦ ١٩ ٣٨ ٥١ ٥٥ ٥٦ ٦٠ ٦١ ٦٥ ١١٦ ١٢٨

مسلمة بن عبد الملك
المصريون ١٤ ٥٠ ٨٧ ١٢٨
مضر ٢٩
المعمدان (يوحنا) ١٩ ٢١ ٣٩
٤٠ ٥٦ ٧٠ ٧١
المندائية ٣٩ (وفي صفحات كثيرة)
منادهي ٤٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧
موركن ٧٣ ٧٤ ٧٥
موسى النبي ٤١

(حرف النون)

نابوت زيوا ١٢٢
الناصري (آنوش) ٦٠
الناصر لدين الله ٣٨
النصرانية ٤٠
نجم (الشيخ) ٨١
النجار (عبد الوهاب) ٢ ٥٦
النصارى ٦ ١٠ ١٩ ٢٠ ٢٨
٢٩ ٣٠ ٣٨ ٤٤ ٥٦
٨٨ ١٠٣ ١١٥ ١١٧
نوح ١٣ ١٩ ٢٩ ٤٧ ٤٨
٤٩ ٦٩
نولدكي ٢١
نضيرة (البنت) ١٠٤
نوربورك ٧١
نوبجهان ٣٧
نوربطاش ٥٠

(حرف الهاء)

هادبيشة ٤٦
هارون ٥٧
هرمس ١٢ ٢٤ ٣٤
الهنود ١٢٨
هومشبه ٤٤
هيي ثنيائي ٤٤
هيي ثليثائي ٤٤
هيي قدمايي ٤٤
هيبل زيوا ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٧
٥١ ٥٣ ٥٤ ٦٠ ٧٤
هيرودوس ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٦٧
هيرودويا ٥٥ ٦٧

(حرف الواو)

وجدي (محمد فريد) ٨٨
الوليد بن عبد الملك ٦٧ ٦٨
ويسديس ٥١
الوراق (محمد بن اسحقَ)

(حرف اليـاء)

اليازجي ٢
يافث ٤٨
يامين ٤٨
يريمان (بشم) ٥٠
يسوع ٥٩
يعقوب (آل) ٥٧
يوخارشاكنة ١٢٢
اليزيديون ١٠٥
يحيى ٤٠ ٤٤ ٥٥ (وفي معظم صفحات الكتاب)
يوحنا ٥٨ ٥٩ ٩٧ ١٢٤ ١٢٧
اليهود ٦ ١٠ ٢٩ ٣٠ ٣٩
٤٠ ٤١ ٤٤ ٥١ ٥٦
٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٤ ٦٩

فهرست الاماكنة والبقاع

(حرف الالف)

اربل ١٢٥
الاردن ٤٠ ٥٦ ٦١ ٦٤ ٦٥ ١٢٨
الاندلس ٤
آسيا ٥٣
آشور ٦
افريقية ٤
اورشليم ٦٠ ٦١ ٦٤
ايران ٩٨ ٧١ ١٢٥

(حرف الباء)

بابل ٦ ٥١
باريس ٣٧ ٣٨ ٦٦ ٧٣ ١٢٦
برقه ٣
البصرة ٣ ٥ ٢١ ٣٦ ٣٧ ٨١ ١٢٤ ١٢٧
البطائح ٢٧ ٣٦ ٣٨ ٤٢ ٩٣ ٩٦
بطرسبورغ ١٢
البذندون ٣٠
بغداد ٣ ٤ ٥ ٧ ٣٨ ٥٥ ٨١ ١٣٢ ١١٤ ١٢١ ١٢٤
بيروت ٨٧
بيت المقدس ٤٠ ٤١

(حرف التاء)

التايمس (نهر) ٤
ترعوز ٣١
تلمسان ٣
تنبكت ٤

(حرف الجيم)

الجبايش ١٢٧ ١٢٦
الجزيرة ٤ ٢٩
الجليل ٥٨

(حرف الحاء)

حدياب ٣٩
حران ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٨ ٣٩ ٩٣ ١٢٦
الحلة ١٢٤
حلب ٣
الحلفاية ١٢٥
الحمار ١٢٧

(حرف الخاء)

خوزستان ١٠٥

(حرف الدال)

دجله ٣٢ ٣٦ ٣٩ ٤٠ ١٣٢
دخشاسة ٣٧
دمشق ٣ ٦٧
ديالى ١٢٤

الدليم ١٢٥
الديوانية ١٢٤

(حرف الراء)

الرافدين ٤ ٥
الرقة ١٢٦
الروم (بلاد) ٢٩ ٣٠
الرومانية (الممالك) ٤٠

(حرف الزاي)

زبيد ٢
الزجيه ١٢٧
الزيتون (جبل) ٦٨

(حرف السين)

سابور ٣٧
سلمسين ٣١
سورية ١٢٧
سوق الشيوخ ١٢١ ١٢٧
السليمانية ١٢٥
السين (نهر) ٤

(حرف الشين)

الشام ٤ ٦٧
الشرش ١٢٧
ششتر ٦٨
شط العرب ٣٢
شنقيط ٤

(حرف الصاد)

صنعاء ٣
صيدا ١ ٢٩

(حرف الطاء)

طبرية ٣
طرابلس ٣

(حرف العين)

العراق ٤ ٥ ٢٧ ٢٨ ٣٥
٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠
٥٥ ٧١ ١٢٥ ١٢٩
العزير ١٢٧
العمارة ١٢١ ١٢٤ ١٢٧ ١٣٢

(حرف الغين)

غرناطة ٤

(حرف الفاء)

فارس ٤١
فاس ٤
الفرات ٤ ٣٢ ٣٦ ١٢٧
الفسطاط ٤
فلسطين ٥٥ ٦٨

(حرف القاف)

القاهرة ٣ ٧ ١٢ ١٧ ٢١
٤٠ ٤١ ٥٦ ٦٤ ٧٧
٨٧ ١٣٨
القدس ٣ ٦٨
القرنة ١٢٧
قرطبة ٤
قلعة صالح ١٢١ ١٢٧
القيروان ٣

(حرف الكاف)

كارون (نهر) ٣٢ ٣٩
الكرادة الشرقية ٧ ٨
الكرخ ١١٤
كرمة بني سعيد ١٢٧
كركوك ١٢٤
كسكر ٣٦
الكوت ١٢٤
كوبنهاغن ٧١
الكوفة ٣

(حرف اللام)

لايبسك ٣١ ٣٨ ٧١
لبنان ١ ١٢٧
لندن ٣٥ ٧١

(حرف الميم)

المحمرة ١٠٥ ١٢٧
مراكش ٤
المجر الكبير ١٢٥
المدينة المنورة ٣
المدينة (بالتصفير) ١٢٧
المشرح ١٢١
مصر ١٢٧
مضر (ديار) ٢٩
المغرب ٤
مكة المكرمة ٣
المنتفق ١٣٢ ١٢٧
المهدية ٣
مورا (جبل) ٦١
الموصل ٣ ٥ ١٢٤
ميسان ٣٩

(حرف النون)

نابلس ٦٨
الناصرة ٥٨ ٦٠
الناصريـة ٨١ ١٢١ ١٢٤ ١٢٧ ١٣٢
ناصرية العجم ١٠٥
النيل ٤ ٥

(حرف الواو)

واسط ٣٦ ٣٧
وهران ٣

(حرف اليـاء)

يهودا (مدينة) ٥٩

مضامين الكتاب

الصفحة	الموضوع
٢	ثبت بأهم المراجع
٣	مقدمة الكتاب لاحمدزكي باشا
٦	كلمة المؤلف
٨	مقدمتا الطبعتين الثانيةوالثالثة
	الصابئة قديما وحديثا
٩	توطئة
١٠	كيف عرف الخالق ؟
١٣	أدوار الديانة الصابئية
١٩	الصابئة لغة
٢٢	**فرق الصابئة**
٢٧	الفرق بين فرق الصابئة
٢٨	صابئة القرآن
٢٩	الصابئة الحرانية
٣٥	صابئة البطائح
	معتقدات الصابئة المندائية
٤٣	الخالق جل شأنه
٤٤	بدء الخليقة
٤٥	خلقة آدم
٤٦	الكون في نظر الصابئة
٤٧	حديث الطوفان
٤٩	عمر الدنيا
٥٢	فكرة الخير والشر
٥٣	اعتقادهم في الجدي ـ اعتقاد طريف
٥٥	يحيى بن زكريا عليه السلام
٥٦	يحيى في القرآن الكريم
٥٧	يحيى في التوراة والانجيل
٦٠	يحيى في كتب الصابئة
٦٢	يحيى في روايات اخرى
٦٥	وفاة يحيى عليه السلام
٦٧	مدفن يحيى (ع)
٦٩	**كتب الصابئة المقدسة**
	علماء الصابئة
٧٦	توطئة
٧٧	الحلالي
٧٩	الترميده
٨٠	الكنزبرا
٨٢	الارشمة ـ الرباني
٨٣	طعام رجال الدين
٨٤	معاقبة رجال الدين
	الصوم والصلاة
٨٧	الصوم
٨٨	الصلاة
	التعميد وانواعه
٩٥	عماد الولادة
٩٨	عماد الزواج ـ عماد الجماعة
٩٩	عماد الاعياد

آثار المؤلف المطبوعة

	فلس	دينار
أولا ـ في التاريخ السياسي		
١ ـ تاريخ الوزارات العراقية تم في عشرة مجلدات وثمنها	٥٠٠	٧
٢ ـ تاريخ العراق السياسي الحديث في ثلاثة مجلدات (الطبعة الثانية) »	٢٥٠	٢
٣ ـ العراق في دوري الاحتلال والإنتداب تم في مجلدين وثمنهما		٢
٤ ـ الأسرار الخفيه في حوادث السنة ١٩٤١ التحررية	٧٥٠	
٥ ـ الثورة العراقية الكبرى	٥٠٠	
٦ ـ العراق في ظل المعاهدات	٥٠٠	
٧ ـ أسرار الانقلاب « صادرته الحكومة العراقية » وثمن النسخة الميسورة		٢
ثانياً ـ في العقائد والاديان		
٨ ـ الصابئون في حاضرهم وماضيهم ـ الطبعة الثالثة ـ	٣٥٠	
٩ ـ اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ـ الطبعة الثالثة ـ	٣٥٠	
١٠ ـ البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم ـ الطبعة الثانية ـ	٥٠٠	
١١ ـ تعريف الشيعة	٢٥٠	
١٢ ـ الخوارج في الإسلام	١٥٠	
١٣ ـ الصابئة قديماً وحديثاً	١٥٠	
١٤ ـ عبدة الشيطان في العراق	١٥٠	
١٥ ـ البابيون في التاريخ	١٥٠	
ثالثاً ـ في التاريخ وغيره		
١٦ ـ العراق قديما وحديثاً ـ الطبعة الثالثة ـ	٧٥٠	
١٧ ـ تاريخ الصحافة العراقية ـ الطبعة الثانية ـ	٢٥٠	
١٨ ـ تاريخ البلدان العراقية ـ الطبعة الثانية ـ	٢٥٠	
١٩ ـ الاغاني الشعبية	٢٥٠	
٢٠ ـ المعلومات المدنية لطلاب المدارس العراقية	١٥٠	
٢١ ـ رحلة في العراق أو خاطرات الحسني	٢٥٠	
٢٢ ـ تحت ظل المشانق: رواية في ثلاثة أجزاء	٢٥٠	
٢٣ ـ تاريخ الثورة العراقية ـ الطبعة الثانية ـ	٥٠٠	
٢٤ ـ المراقد المقدسة في العراق ـ مخطوط في ثلاثة اجزاء ـ		